روايات عبير



آن هامبسون

الندم



روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 56

الندم

أبداً لم يرفض أحد شيئاً يرغبه في قرارة نفسه. وحين عندما طلب سكوت الزواج منها رفضت، مجبرة لطلبه وحنانه توهماً من عدم الشخصية والقدرة على السيطرة، وقالت إنها تريد رجلاً قوياً يحقق لها جميع رغباتها.

تركها سكوت [illegible] الأحزان وحوله [illegible] وقضت جين الأمل. وبعد مرور أربع سنوات التقت [illegible] لسرقة وشعرته وغروره. حاول الانتقام لكرامته الجريحة وعندما قبلت العمل كسكرتيرة له علمها وقهرها. ولم يرحم قلبها من الشك والغيرة

جين لم تنم الليل بسبب الندم الذي أحرق أيامها

[illegible] شقيقها تواطأ معها في خدعة هدفها الحصول على وظيفة لكن سكوت كشف لعبة الخداع وكان غضبه ناراً أكلت الأخضر واليابس وهددت جين بالويل. فهل تعترف جين لسكوت بالحب.. هل تعترف له بحبها وندمها لأنها رفضت الزواج به أم تهرب مع شقيقها من جزيرة باربادوس؟

لبنان	[illegible]	الكويت	[illegible]	اليمن	[illegible]	السودان	[illegible]
سورية	[illegible]	الإمارات	١١ د	تونس	[illegible]	U.K.	£ 1
الأردن	[illegible]	البحرين	[illegible]	ليبيا	[illegible]	France	F 10
العراق	[illegible]	قطر	١٠ ر	المغرب	٩ د	Greece	Drs [illegible]
السعودية	٩ ر	عمان	[illegible]	مصر	[illegible]	Cyprus	P 1.250

REMA

١ ـ رجل من الشمع!

عبست جين كورتيس، وظلت صامتة مدة طويلة قبل أن ترد على سؤال أخيها قائلة:

«لا أستطيع يا ليس، قلت لك هذا من قبل. أود مساعدتك ولكنني لا أستطيع التورط إلى هذا الحد»

كانت تجلس أمامه حول مائدة الافطار، وعيناها على الرسالة التي التقطها منذ لحظات من الأرض في الردهة، وقال ليس:

«لا توجد أية ورطة. الواقع أن الوضع بسيط جداً في رأيي، فليس لنا أبوان نفكر فيهما، ونستطيع ترك منزلنا لعميل يؤجره لحسابنا، فلا نبيعه في هذه الرحلة حتى نقرر إذا كنا نستطيع الاستقرار هناك»

«لا أفكر في هذا... ولكنها مسألة الخداع يا ليس وأنا لا أتقنه كما تعرف»

ومضى ليس يشرح وجهة نظره قائلاً:

«من الذي سيعرف أننا لسنا زوجاً وزوجة؟ إن هذا الفندق الذي عرض عليّ أن أكون مديره، ليس إلاّ واحداً من سلسلة فنادق فخمة في جزر الهند الغربية. ومتأكد أن أحداً لن يأتي ويتحرى عن حياتي الخاصة هناك»

«هل أنت متأكد من أنك أنهيت علاقتك مع كارولين؟ أقصد ألا تقربها الحياة في الباربادوس؟»

وكان واضحاً أنها لم تكن جادة إطلاقاً عندما قدمت طلباً لشغل الوظيفة. كنت واثقاً أن في وسعي تنفيذ الشرط وهو أن أكون متزوجاً، وأصبت بصدمة كبيرة عندما رفضتني كاي رولاند»

وعند هذه النقطة تدفقت الذكريات أمام عيني جين وفكرت. كان سكوت كافوي هو الآخر أصيب بصدمة كبيرة منذ أربع سنوات عندما رفضت عرضه للزواج. مشكلة الرجال أنهم يفترضون أن الفتيات لا تفكرن إلا في الزواج. ربما كن كذلك في وقت من الأوقات، ولكنهن لم تعدن تحلمن بالزواج فقط الآن منذ حصلت حواء على استقلالها.. وبالنسبة إلى سكوت كان لديها حب وحبه جداً ولكنها رفضته. وابتسمت جين من أعماق عندما تذكرت كيف أخبرته بكل صراحة أنه ليس من الطراز الذي تحبه، وأنه لا يتمتع بشخصية قوية، بل هو لطيف أكثر مما يجب، وهي ليست بحاجة إلى رجل تستطيع لفه حول أصبعها.

وتوالت ذكريات جين عندما بدأ أخوها يتكلم ثانية محاولاً التأكيد فأخبرته أنه لا يستطيع رفض الوظيفة لأنها فرصة العمر كله. أما بالنسبة إلى جين فهي تحب الشمس والبحر وتستطيع الاستمتاع بهما على جزيرة برباديس الرومانسية الجميلة.

وتمتمت شاردة الذهن:

«بوظيفتي»

«منذ عدة شهور وأنت تشكين من أنك لم تعودي سعيدة بعد وصول رئيسك الجديد، وفي الأسبوع الماضي فقط قلت إنك ستبحثين عن وظيفة أخرى»

وكان هذا صحيحاً، فقد كان السيد هورسفيلد مختلفاً جداً عن رئيسها القديم السيد فرانك الذي وصل إلى سن التقاعد. والرئيس الجديد يقضي معظم وقته باحثاً عن أخطاء سلفه وهؤلاء الذين عملوا معه. ووافقت جين أخيراً وقالت:

«سوف أفكر في الأمر ولكن لا أتمنى في التفاؤل. إنني أحب فكرة الحياة على

الجزيرة ولكنني لا أحب فكرة الخداع»

وهز ليس كتفيه وكرر أن أحداً لن يأتي ويتحرى عن حياته الخاصة وأضاف مؤكداً:

«إن الجو رائع... سوف تستمتعين بالشمس، وهناك مطر يجعل النباتات خضراء يانعة، وهناك أيضاً الرياح الرطبة التي تهب طوال الوقت»

«كنت مشغولاً هذه الأيام»

«طبعاً.. منذ اللحظة التي قدمت فيها الطلب لشغل هذه الوظيفة»

«ومهما سيكون عمل بالضبط لن يقتصر بالطبع على مجرد التحدث مع الضيوف بلطف، كما قلت لي في أول الأمر»

«هذا كل ما عليك أن تفعليه، ليس عليك إلا السير في أنحاء الفندق وأن تبدي جميلة، وهذا لن يكلفك شيئاً»

عبست جين لشقيقها وقالت:

«من الغريب أن المسؤولين لم يطلبوا رؤية زوجتك»

«أخبرتهم أنني لم أتزوج بعد»

«إن السيد سبنسر هو الرجل الذي أجرى المقابلة معي في لندن كما تعرفين»

وأخذ يراقب وجهها خشية أن تطرح عليه علامة رفض، ثم قال:

«كتب إلي يقول إنه يريد رؤية زوجتي»

وهزت رأسها بطريقة آلية قائلة:

«هذا السبب لا أستطيع يا ليس، أنا آسفة»

«هل أنت خائفة؟ لا أصدق... إنك لم تظهري أي خوف طوال حياتك»

وابتسمت جين إلى هذه العبارة بدون أن تجيب. كانت هذه هي الحقيقة الواقع أنها رفضت الزواج من سكوت بسبب قوة شخصيتها. إنها لا تشعر بأي خوف ولم يكن لديها وقت لرجل يستجيب لكل نزواتها لمجرد أنه يخشى العصبية لو أنه لم يرضِ رغبتها... لو أنه أظهر بعض العطف لو أنه أثبت لها أنها لا تستطيع

فعل كل ما تريده وكيلاً. لانتهت علاقتهما على نحو مختلف.

وعندما أدركت أن «ليس» في انتظار ردها قالت مكررة:

«لا أحب الخداع على الاطلاق».

ولم يعلق. فتمتمت تقول:

«وما هو المطلوب مني هذا المساء؟ أن أكون زوجتك أو خطيبتك؟»

«ستظهرين كزوجتي هذا المساء».

حدقت وقالت في لهجة إتهام:

«هل كانت رغبتهم أنك متزوج بالفعل؟»

«بعد المقابلة اتصل بي السيد «سيمز» تليفونياً وسألني عن موعد زواجي. كان واضحاً أنهم قبلوا تعييني في الوظيفة، ولذلك حددت له موعداً وكان منذ أسبوع».

وزاد غيظ «جين». ولكنها لم ترجع كلمة لوم أو تأنيب لأخيها. كانت أمنيته هي العمل في الخارج، وهذه هي الوظيفة الخامسة التي قدم طلباً لشغلها، وقد أعطيت الوظائف الأربع الأخرى لرجال أكبر منه سناً. والواقع أنه حصل على هذه الوظيفة بفضل توصية «ديفيد» «التي يدير مع زوجته «سوزان» الفندق النخيل في «باكسوس» على الشاطئ الشرقي للجزيرة. كانا قد أمضيا سنوات كثيرة في الفنادق، وعملا بمقر شركة فنادق جزر الهند الغربية، ولذلك كان لتوصية «ديفيد» أثر كبير عند السيد «سيمز» وهو الرجل المسؤول عن إجراء المقابلات مع طلاب الوظائف في لندن. بل ان فشل ليس في الحصول على الوظيفة يمكن أن يصيب «ديفيد» و«سوزان» بإحباط مرير، وكانت «جين» وأخوها صديقين لهما قبل أن يذهبا ليعيشا في «باركسوس» منذ ثلاث سنوات.

ونظر «ليس» إلى الساعة وقال وهو ينهض واقفاً:

«سأذهب الآن.. لاتخافي يا «جين».. أرجوك».

نظرت إليه وهو يستقل سيارته، عائداً لينام في الفندق الذي يعمل فيه. الا

هذه المرة أخذ اجازة لمدة أسبوع، ومن الطبيعي أن يقضيها مع «جين» في المنزل الذي يملكانه. وكانت هي نفسها في اجازة لمدة أسبوع أيضاً. ولكن الاجازة انتهت وعليها العودة إلى العمل اليوم. وغسلت الصحون بسرعة ورتبت سريرها، وارتدت معطفها وأخذت حقيبة يدها، وخرجت لتأخذ الأوتوبيس. وبينما كانت سائرة سمعت صوتاً يناديها وعندما التفتت وجدت صديقتها «دوريس» تتوقف بسيارتها. وركبت «جين» بجانبها وسألتها:

«هل مازلت تعملين؟ ظننت أنك تركت العمل عندما تزوجت».

«تركت العمل فعلاً، ولكننا لم نستطع العيش على مرتب زوجي، فعدت أعمل ثانية».

«من الصعب الحياة على مرتب واحد.. وكيف حال زوجك؟»

«بخير.. على فكرة هل سيذهب «ليس» للعمل في «باركسوس»؟»

«لم يتقرر شيء بعد يا «دوريس»».

«هل تعتقدين أنه قد لن يقبل الوظيفة؟»

«لا أعرف يا «دوريس»».

«أعتقد أنك ستفتقدينه اذا سافر. كان يتعين عليك أن تتزوجي عندما أتيحت لك الفرصة».

والتفتت إليها «جين» وسألتها:

«كيف تعرفين أن فرصة الزواج أتيحت لي؟»

«الواقع لم أكن متأكدة، ولكن كان واضحاً جداً أن هذا الرجل «سكوت كمبرلي» واقع في غرامك، ولا بد أنه عرض عليك الزواج.. أليس كذلك؟»

وردت «جين» على سؤال رفيقتها بقولها:

«لم يكن «سكوت» من الطراز الذي أحبه».

وأعقب هذا صمت قصير وبدت «دوريس» محرجة في أول الأمر ولكن فضولها تغلب عليها فقالت:

«لقد أقنع أنه أصبح رجلاً عظيماً عندما رفضته».

«رجل عظيم؟ هراء! لم أسمع إطلاقاً بمثل هذا الكلام المضحك».

«لقد رحل الى مكان ما... ولم يره أحد منذ أن افترقنا».

وقالت «جين» بسرعة:

«إن الفراق ليست كلمة مناسبة، فلم نكن أنا و«سكوت» صديقين متلازمين».

«ولكنك خرجت معه يا«جين». شوهدت معه كثيراً في سيارته».

«لقد تعشينا ورقصنا معاً عدة مرات. ولكنني لم أفكر فيه جدياً أبداً».

«ولكن «سكوت» كان جاداً.. على الأقل كل من كان يعرفه أحس بذلك».

وتنهدت «جين». وأدركت سريعاً من القريب أنها شعرت بالاستياء من الاشاعات التي وضعت «سكوت» في موضع العاشق المرفوض. صحيح أنه لم يكن من الطراز الذي تحبه، ولكنه كان ساحراً رغم ذلك بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين، وملامحه الوسيمة وشعره الذي وعينيه الزرقاوين الضيقتين المرحتين. وقالت «جين»:

«هذه هي الحقيقة».

وقالت من السيارة: لقد ترك الاسبرز في حديث يشير [illegible] على أن الحديث قال معها ويحدث نفسها تفكر أكثر في الرجل الذي تمنى أن يتزوجها كان يعطي معرفة «جين» سمعها من أبيه الذي يملك عدة متاجر لبيع الأحذية وقد أقنع أن «سكوت» اختلف مع أبيه بسبب رفضه العمل معه.

وتتذكر «جين» أول مرة أحبت فيه، وأدهشتها تلك الخبرة [illegible] من المسابقة. [illegible] «جين» خلالها أن كل زيارته [illegible] الرجل الذي يبدو شخصاً [illegible] من معظم [illegible] وتصرفه [illegible]. والواقع أن «جين» دهشت لأنها تستطيع التصرف [illegible] لم تستطع معرفته... كانت تحس بالفخر وهي في صحبته لأنه في ذلك... لأنه يجذب انتباه العيون بطول قامته ووسامته وهو يمشي بالأناقة [illegible] الأجسام

أنها تحب. وكان كل هذا يتناقض مع تعرفته ولقاءها مع «جين». وهو أشبه بقطعة من الشمع في يديها، وكانت واثقة من أن ضعفه سينفرها منه لو أنها تزوجته. والواقع أنها منعت نفسها من التورط في غرامه بدافع غريزتها الغريزي.

وتذكرت ذلك اليوم الذي صحبته فيه في سيارته الى شاطئ «البحر» وبعد أن تريضا سيراً على الأقدام على الشاطئ الخالي، ثم جلسا تحت ظل شمسية. طلبها للزواج.. إن «جين» لم تستطع أن تنسى تعبير وجهه... لم تنس الدهشة وعدم التصديق عندما رفضته، قال لها:

«انني أحبك يا«جين»... وأنتم أنك تبادلينني الشعور نفسه».

كان واضحاً أنه لم تكن لديه خبرة بالنساء. ولم يكن يدرك هذا الرجل عديم الخبرة. اعتقدت أن الرجل يتعين عليه أن يعرف الكثير عن المرأة قبل أن يقرر الزواج. وسألها:

«هل ترفضينني حقاً؟»

«نعم يا«سكوت». أنا آسفة».

وكانت هذه أول مرة لها رفضته... فلم تكن لديه حتى القدرة على الغضب من قرارها، وسألها:

«لماذا ترفضينني يا«جين»؟ على الأقل أخبريني لماذا».

وقالت له الحقيقة: اعترفت أنه ليس من الطراز الذي تحبه، وعندما سألها في دهشة عن الطراز الذي تحبه وقعت في حيرة، كيف تقول له إنه لن تحبه أكثر مما يحب؟ كانت تريد [illegible] أو تريده... لقد تعجبت من [illegible] ترفض الذهاب الى المكان الذي اقترح أن يتناولا فيه العشاء، اقترحت له [illegible]

«أريد أن أذهب الى مطعم [illegible]»

«كما تريدين يا«جين»»

ان [illegible] السريع [illegible] ومن الغريب أنه [illegible] من أي نوع من الرجال هو حتى يسمح لنفسه بالانسياق لرغباتها [illegible] وكيف ترضى

بأن تتزوج سمكة علامة بدون حب؟ وفي النهاية اضطرت جين، تحت الحاح سكوت، أن تقول له بصراحة انه يفتقر الى قوة الشخصية التي تحتاج اليها لسعادتها، وبعض وسامة.

«كنت أعتقد دائماً أن المرأة تريد الرقة والعطف في زوجها»

«نعم.. نعم، ولكنها تريد أيضاً أن يرغمها على النظر اليه.. يجب أن يتسم بشيء.. من.. من السيادة»

وهز سكوت كتفيه وقال:

«هذا لي، مؤلم لكل منا التطرق الى هذا الموضوع.. كنت سعيداً بصراحتك، ولكن هذه هي النهاية، شكراً»

وتوقف لحظة.. وشعرت بغريزتها أنه كان يسأل نفسه.. لماذا أفشل؟ ثم قال:

«الواقع أنك قلت انني ضعيف، كما لمحت أيضاً الى انه ليست لدي قوة بالنسبة

ردت وهي تشعر بالفرح والذنب لأنها ألحقت به إهانة بالغة:

«أرجوك يا سكوت.. دعنا نترك هذا الموضوع»

ونظر اليها.. رأت الوجوم في عينيه، الوجوم الذي يدل على ألم يعتصر القلب. بدا في نظرها أصغر من سنه. لو كانت هي نفسها في السابعة عشرة من عمرها لاختلف الأمر ولكنها في العشرين، واثقة من نفسها، تعرف تماماً ما تريده في الرجل الذي تقبله زوجاً.

وعندما وصلت جين الى مكتبها انشغلت بأمور أخرى، واختفت صورة سكوت من ذهنها ولكنها عادت ثانية وقت الغداء، وبدون سبب واضح. ووجدت نفسها تتساءل: ترى ماذا حدث لما توفي والده وأصبح أن سكوت باع متاجر الأحذية وذهب يبحث عن شيء آخر يستثمر فيه أمواله ثم انتقل. ولم تسمع جين شيئاً عنه طوال أربع سنوات. ومن الغريب أن وجهه ظل واضحاً في ذاكرتها تستوحيه كلما أرادت.

في تلك الوقت كان [illegible] يعمل في اسكوتلندا مديراً لفندق في [illegible]، ولم

يكن سكوت قد رآه كذلك. جين لم تتعرف على والد سكوت أو أخته التي تكبره بعشر سنوات، المتزوجة من رجل أمريكي. أقامت معه في ديترويت، وتصورت جين أن سكوت قد تزوج، فهو وسيم يمكن أن يجذب عدداً كبيراً من النساء، كما أنه كان يريد الزواج، انه طلب يد جين بعد خمسة أسابيع فقط من لقائهما لأول مرة.

وفي هذه اللحظة أطلت زميلة جين برأسها من الباب وقالت لها:

«تعالي لتريضي قليلاً يا جين.. انه يوم جميل.. فلنمض عشر دقائق في الشمس»

ووافقت جين وأغلقت حقيبة يدها وصحبت [illegible] وبعد أن سارتا مسافة قليلة زلت قدم [illegible] واختل توازنها ووقعت على الأرض. وبسرعة اجتمع الناس حولها، وتوقفت سيارة وساعد السائق [illegible] على النهوض، وصحب الفتاتين في سيارته الى المستشفى حيث بقيت [illegible] وعادت جين وحدها الى مقر عملها متأخرة، ووجدت الرئيس الجديد يجلس خلف مكتبه وكأنه قاض.. ولما سألها عن سبب تأخرها قالت:

«لقد صحبت زميلتي الى المستشفى يا سيد هورسفيلد»

«كان يمكنك أن تتركيها في صحبة سائق السيارة التي أقلتها الى المستشفى. قلت أكثر من مرة انني لن أدير هذا المكتب كما كان يدار من قبل.. انك في أجازة [illegible] إعتباراً من يوم الجمعة»

وأشعلت عيناها بالغضب ولكنها لم تقل شيئاً، وفي تلك المساء صحبت أختها الى منزل السيدة [illegible] حيث قابلها برفقة وقال لها انها ستكون عوناً لزوجها في عمله الجديد كمدير للفندق [illegible] كورال [illegible] في [illegible].

ووقفت جين على الشاطىء وراء البحر، وكانت بشرتها قد اكتسبت سمرة ذهبية رائعة. أبرزت جمال شعرها الأحمر الذي انسدلت خصلاته اللامعة فوق كتفيها وكأنه عباءة حريرية.. انها صورة الصحة الموفورة وهي تقف هناك مستندة بدلال على شجرة النخيل الباسقة، على وقت تناول الشاي، وبدا الشاطىء

الحاجز التابع للفندق خالياً تقريباً، وركزت نظرتها الخائفة على المياه الزرقاء التي تتهادى على الشاطئ، بدون همسة..

كانت الجزيرة أشبه بجنة استوائية، رائعة بحدائقها المرجانية، ونخيلها الباسق وعبق أزهارها الذي، وسكانها الذين عرفوا بكرمهم ووجوههم الودية.

وفجأة مر أمامها رجل يتقدم نحوها... وتذكرت... بأنه من رجل طويل..

كان يخطو بسهولة ورشاقة وكأنه لا يلمس الرمال... كان يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً بأكمام قصيرة وصندلاً في قدميه، ومن الواضح أنه نزيل من الفندق، وإلا لما سمح له بالنزهة على شاطئ الفندق الخاص وقبل أن يصل إليها شهقت غير مصدقة:

«سكوت؟ لا يمكن».

كان من الممكن أن يمر أمامها بدون أن يراها، ولكنه توقف وحدقت عيناه نفسها وصاح:

«جوان؟»

وظل لفترة طويلة يحدق في وجهها الجميل، الذي يدل على الذكاء والشخصية المستقلة ويتسم بملامح متناسقة رائعة، ومن أخرى صاح متسائلاً:

«ما الذي جاء بك إلى هنا؟»

شعرت بشيء من الحرج ولكنها استطاعت في الوقت نفسه ملاحظة التغييرات الواضحة التي طرأت عليه خلال السنوات الأربع، فظهرت بعض الخطوط والتجاعيد في وجهه، وزادت حدة الزوايا ويبدو ساخراً، وحتى صوته بدا خاصاً جداً ورزيناً لا يمكن أن يكون صوت الرجل الذي كانت تعرفه، وحاولت رسم ابتسامة على شفتيها، وأخيراً قالت:

«إنني أقيم في الفندق».

«إذن أنت أيضاً في إجازة. يبدو من ملاحظة منذ متى قدمت إلى هنا؟»

وترددت، وشعرت بشيء من الضيق، وأخذت تحرك يدها لتظهر خاتم الزواج، وأخيراً قالت:

«إنني في إجازة...»

«مع زوجتك؟»

قال سكوت هذا وعيناه على الخاتم، كم أصبح مختلفاً عن الرجل الذي كانت قد عرفته، ومضى يقول:

«هل استطعت أن تجدي مثلك الأعلى؟ الرجل القوي بسمات السلطة الضرورية لسعادتك؟»

واحمر وجه جوان ورددت:

«أتعتقد أنه كنت قد أحببته يا سكوت؟»

«أعني؟ كانت الذكرى ستنسيني لقد أنك لم تردي على سؤالي. هل وجدت هذا الطاغية المستبد الذي يسعدك بالخضوع له؟»

وزادت حمرة وجنتي جوان غضباً، وكان من الصعب عليها أن تتمسك بآداب السلوك فانفجرت قائلة:

«إنك تهينني يا سكوت، إن مثل هذه السخرية تعني وقاحة سافرة».

ولم يعد يهتم بهذا التأنيب كأن همسة ضده، ولا تستطيع جوان التصديق بأن هذا الرجل هو الذي كان رقيقاً جداً، لطيفاً جداً.. طيباً جداً.. ووجهها أشد خشفاً لتتصور أنه لطيف الآن.. لقد كان عكس ذلك في الواقع، وسألها بشيء من الفضول:

«أعتقد أن زوجك معك؟»

«أنا.. نعم.. إنه معي...»

كانت تلك ببطء محاولة إخفاء الكذبة الصغيرة التي بدت على شفتيها من الصعب عليها أن تكذب على سكوت، الأسبوع الأول الذي قضته في الفندق مر بسلام، حتى كانت تنسى وضعها المزيف كزوجة لمدير الفندق. أما الآن فشعرت بالحرج وأدركت تماماً أن زوجها لابد أن يظهر في الصورة. وأخبرته أنه مدير فندق كورال غيلز ورفضت أن تكون صريحة معه، وتكشف له عن

حقيقة القصة، وتوضح أن الخلاف جاء نتيجة رفض خطيبة شقيقها الزواج منه.

وبدا في عيني سكوت تعبير غريب جداً.. وأشاح بوجهه وأخذ يتطلع إلى بعض الأشخاص الجالسين بعيداً على الشاطئ، تحت تجنب النظر إلى عينيها، ووجدت جين في هذا معنى أثار قلقها، وسألها وهو ينظر ساهياً إلى أصابعها:

«ألم تغيري اسمك بعد الزواج؟»

وشعرت بالارتباك والحيرة وهو يحاول أن يتجنب النظر إليها. بدت نبرة صوته الناعمة مشوبة بشيء غامض، فهو يحمد أثار الرعشة في أعصاب جين.. هناك شيء غريب في سلوك سكوت الذي لم تعرف عنه أحوال... وسألته وهي تحاول تغيير الموضوع:

«متى وصلتما؟»

«منذ حوالي ساعة»

«ألم تحجز غرفة مقدماً؟»

وتساءلت.. ترى ما الذي كانت ستفعله لو أنه حجز مقدماً وقرأت اسمه بين أسماء الضيوف المتوقعين؟ وأدت هذه الفكرة إلى سؤال آخر.. سؤال أقلقت منها رغماً عنها:

«هل أنت بمفردك؟»

ولاحت شبه ابتسامة على فمه وقال:

«انني بمفردي تماماً»

وبعد وقفة صغيرة أضاف:

«هل تريدين أن تعرفي لماذا كنت متزوجاً؟»

«طبعاً لا.. فلا أهتم بذلك»

وهز سكوت كتفيه وقال موافقاً بلا اهتمام:

«لا يوجد سبب معين، ولكنني ظننت فقط أن سؤالك قد يعني تساؤلا»

ومرت لحظة صمت أخرى، كانت ابتسامته الساخرة مقدمة لعبارات الحقار.

وقال:

«لقد اكتشفت أن الزواج ليس ضرورياً، فلماذا يتحمل الرجل أية مسؤولية طالما يستطيع الحصول على كل الميزات بدونها؟»

ولم ترد وأضاف قائلاً:

«انني مدين لك بالشكر لأنك رفضتني يا جين. وسوف أظل أشكر لطفك دائماً»

وظلت جين صامتة.. واستمر يقول بلهجته الساخرة:

«إننا نقدر الزواج أكثر مما يجب، وهو أمر غير ضروري إلا للأشخاص الرومانسيين جداً»

وأخيراً قالت جين وكأنها لا تصدق:

«لقد تغيرت كثيراً.. كنت.. كنت..»

وتوقفت الكلمات في حلقها.. لم تستطع أن تكون صريحة مع هذا الرجل كما كانت مع سكوت كدوغلاس التي كانت تعرفه منذ أربع سنوات!

«كنت ضعيفاً جداً أنظر إلى السيطرة.. أعتقد أنه تغيير نحو الأفضل اليس كذلك؟»

«انك ساخر»

«السخرية تأتي من الخبرة»

ولاحت ابتسامة احتقار في هاتين العينين العميقتين الزرقاوين. وتغيّر الموضوع بسرعة، وتغيّر أيضاً تعبير وجهه، ومرة أخرى لم تستطع فهم كنهه. فقال:

«إن زوجك لم يبد في نظري من الطراز المسيطر الآسر. أرجو ألا تكوني مصابة بخيبة أمل؟»

وبلعت ريقها بصعوبة محاولة أن تتذكر إذا كانت قد أخبرته بالاسم الأول لأخيها أم لا... لابد أنها أخبرته، ولم يكن أمامها إلا أن تأمل أنه قد نسيه الآن. كان مطبوعاً على كتيبات الفندق، وإذا لم يكن قد نسيه فانه سيبدأ في الشك في

نوم، وقالت لنفسها: إن الأمر لا يهم في أية حال.. انه مجرد ضيف وسوف يغادر الفندق قريباً. وعندما سألته الى متى سيقيم في الفندق نالت الرد التالي:

«حتى آخر الربيع»

وشعرت «جين» أنه أزعجها منذ مجيئه فأحنت رأسها في ارتباك، لم تصدق أن «سكوت» قادر على إزعاجها على هذا النحو.. «سكوت» الذي احتقرته وشبهته في سرها بسمكة هلامية بدون عمود فقري!

وعندما لم تعد تطيق الصمت الطويل قطعته بقولها:

«أين تعيش الآن؟ لقد سمعت أنك تركت منزل أبيك بعد موته»

ولم يرد بسرعة، نظر الى الشاطيء بدون اهتمام وكأنه تعود على مشاهدة مثل هذا المنظر الجميل ثم قال باقتضاب:

«لقد بعت البيت في انكلترا»

وشعرت «جين» بعدم ارتياح، ومرة أخرى أدركت أنه أزعجها منذ مجيئه، وقفت قائلة:

«يجب أن أذهب الآن»

«أعتقد أنك تساعدين زوجك»

«قليلاً.. ليس لدي عمل كثير»

«صحيح؟ كنت أظن أن إدارة مكان مثل «لنتون كورال ريف» تحتاج الى جهد مشترك»

قالت وهي تخط دائرة في الرمال بقدمها:

«اني أتحدث الى الضيوف، وأتناول معهم العشاء كل مساء»

«لا بد أنه عمل سار»

فأومأت وبدأت تسير ثم قالت:

«نعم، انه سار فعلاً.. من حسن حظنا أننا قادرين عليه. أقصد من حسن حظ زوجي على الأقل»

سألها:

«منذ متى تزوجت؟»

وقطبت جبينها وتمنت لو أنها تركته قبل أن يوجه لها هذا السؤال:

«منذ فترة قصيرة.. كان لا بد أن يعقد زوجي قرانه حتى يحصل على الوظيفة»

وحبست أنفاسها خشية أن يكون قد ظن لماذا لم تشر الى «ليس» باسمه الأول، ومرة أخرى سألها:

«ولم تخبريني منذ متى تزوجت؟»

«منذ أسابيع قليلة.. لقد وصلنا الى الفندق منذ أسبوع فقط، سوف أتركك الآن..»

ولكن «سكوت» أسرع من خطاه وظل بجانبها وقال برقة:

«واني ذاهب أيضاً الى الفندق»

ولم يكن أمامها إلا أن تتركه يسير الى جانبها

REMA

٢ - الشواطىء الباهتة

ظلت جين فترة طويلة تشعر بعجب مقابلة سكوت غير المتوقعة، وبعد أن غيّرت ثيابها ذهبت تبحث عن أخيها في مكتبه. وابتسم عندما رآها وسألها:

«هل حدث أي سوء؟»

وأغلقت الباب وتقدمت نحوه وسألته:

«كم من الوقت سيبقى السيد كلفرلي في الفندق؟»

وزمّ جوني أنفه وقال:

«لا أعرفه، وهل هذا مهم؟»

«كنت أعرفه في انكلترا، وخرجنا معاً عدة مرات، وطلب مني الزواج.»

«صحيح؟ لم تذكري إطلاقاً أن أحداً عرض عليك الزواج.»

«لقد رفضته، فلم نكن متناسبين.»

ومضت تروي له كل شيء، ثم قالت:

«ما يزعجني أنه قد يظن بأننا لسنا زوجين. أنا واثقة من أنه لا يستطيع أن يفعل ما يؤذيك، ولكنني سأكون سعيدة عندما يرحل.»

«هل ذكرت اسمي له منذ أربع سنوات؟»

«طبعاً.. أعتقد أني ذكرت اسمك، ولكن يحتمل جداً أنه نسي الاسم بعد كل هذه المدة.»

وبطريقة آلية تناول ليس كتيب الفندق الموضوع على مكتبه، كان اسمه مطبوعاً عليه باعتباره المدير السيد ليس كرتس، وأطلق ليس زفرة صغيرة ثم قال:

«من سوء الحظ أن كلاً منكما يعرف الآخر، ولكنه كما تقولين لا يستطيع إيذائي ولا أعتقد أنه يريد إيذائي.»

وقالت جين معترفة:

«فعلاً، لا داعي للقلق هنا.»

«ولا أظن أنه سيبقى فترة طويلة طالما أنه وحده.»

ولاحظت جين أن أخاها مشغول بكتابة ورقة أمامه، فاستدارت نحو الباب وقالت:

«سأذهب الآن.. وسأراك وقت العشاء.»

كانت غرفة الطعام مفروشة بسجاد سميك، ومضاءة بأنوار خافتة، ومكسوة بالزهور في كل مكان، والموائد متناثرة إلى جانب الجدران بينما ترك مكان في الوسط للرقص، والفرقة الموسيقية تعزف ألحاناً ناعمة من موسيقى جزر الهند الغربية.

جلست جين وأخوها مع أسرة أمريكية بينما جلس سكوت بمفرده إلى مائدة قريبة منهم. حيّا جين بابتسامة باهتة عندما دخل القاعة وتساءلت ترى هل يشعر بشيء من الضياع وهو يجلس هناك وحده؛ ولكن بعد فترة نهض واقفاً وراقص إحدى الفتاتين الانكليزيتين اللتين حضرتا منذ عدة ساعات فقط. ولم تستطع جين انتزاع نظراتها عن سكوت، الذي برز بقامته الطويلة بين الراقصين، كان شامخاً واثقاً من نفسه.. وأخذت جين تراقبه مبهورة ولمحت ابتسامة ساخرة على شفتيه ورأت عينيه تنظران إلى وجه رفيقته في الرقص بتمعن لا يمكن وصفه إلا بأنه نوع من الاستغلال ترى ما الذي قالته الفتاة حتى أثارت هذا التعبير؟ وفجأة احمر وجهها عندما أدركت أن سكوت يشعر بنظراتها المركزة عليه، فرفع أحد حاجبيه في سخرية ظاهرة، وأرخت جين أهدابها وركزت

على الطعام. وتعمدت طوال نصف الساعة التالية أن تشيح بنظراتها بعيداً عن الرجل الجالس الى المائدة المجاورة، على أنه عقب انتهاء تناول الطعام تقدم نحوها واضطرت الى الرقص معه. ونظر اليها أخوها وابتسم، وبدا واضحاً أنه لا يشعر بأي قلق بالنسبة للخداع الذي يمارسه، وبعد دقائق قال سكوت لجين بلهجة عابرة:

«لا أرى أنك ترقصين بخفة يا جين».

«شكراً».

«لم أر زوجك يرقص».

«إنه لا يرقص».

«ولكن يجب عليه أن يرقص... لقد حضر الى الفندق [illegible] ومن واجبه الترفيه عنك».

كانت في صوته نبرة جعلتها أدركت جين وتمنت لو تقول إن هذا الموضوع ليس من شأنه، ولكنها أمسكت ثانية عندما تذكرت أنه ضيف، وقالت محاولة تغيير الموضوع:

«هل زرت بارباروس من قبل؟»

«نعم، أعرف الجزيرة جيداً».

«صحيح؟ هل أقمت هنا من قبل؟ في هذا الفندق بالذات؟»

«أقمت في عدة فنادق على هذه الجزيرة، ومن بينها هذا الفندق».

«إن لنا أصدقاء يديرون فندق النخيل في باكسيا هل أقمت عندهم مرة؟»

ونظرت جين الى وجهه، وفوجئت بنظرة غريبة ثم ابتسامة تنم عن الرضى، وأحست بانطباع غريب وهو أن سكوت كالعادة كان يخطط لشيء معين، وحاولت أن تتخلص من هذا الإحساس. كان التكبر الذي طرأ على الرجل ملحوظاً ولعله بسبب الأحاسيس الغريبة التي استولت عليها. كان أحمق... لا يعرف معنى

عنفه... إنه سر غامض... وتساءلت ترى ماذا يعمل ليكسب عيشه؟ ولم تستطع السيطرة على فضولها فسألته:

«أشيع أنك لم تحتفظ بتجارة أبيك، هل تعمل في مجال آخر؟»

«نعم، أعمل في مجال آخر».

كان رداً غير مشجع ولم تعرف الآن أكثر مما كانت تعرفه قبل أن توجه اليه السؤال. في نبرات صوته سخرية جافة أسكتتها، وظلت صامتة حتى انتهت الموسيقى، وصحبها سكوت الى مائدتها ثم قال:

«يحتمل أن نتقابل فيما بعد».

ثم تركها.

وشعرت بتوتر لا تعرف سببه، وارتاحت عندما غادرت الطعام وذهبت الى غرفتها. لماذا ينتابها مثل هذا الشعور؟ لماذا تبدو خائفة من سكوت وبدون أي سبب معقول؟ كان مجرد ضيف، وسوف يرحل بعد فترة قصيرة، وقد لا تقابله بعد ذلك أبداً، إلا إذا جاء الى الفندق في المستقبل. وهو ما تتمنى ألا يحدث.

وأخيراً نزلت الى غرفة الجلوس ثم خرجت الى الشرفة. كانت الزهرات الاستوائية الغريبة تنتشر في كل مكان، وتشكل جزءاً من الحدائق الفسيحة المحيطة بالفندق. والضيوف يرتدون ملابس السهرة ويجلسون حول موائد زجاجية وضعت عليها شموع في أباريق ملونة. والسقاة يتنقلون في صمت بين الموائد، ويتمتمون بأدب وهم يقدمون المشروبات. والشاطئ المحفوف بأشجار النخيل ينتهي بناحية منطقة صخرية بارزة، والمياه الهادئة الصافية تتهادى برقة على الشاطئ.

وأخذت جين تؤدي عملها وتنتقل من مكان الى آخر لتجلس وتتحدث وتبتسم وترد على أسئلة هنا وهناك، وبصورة آلية بحثت عن سكوت، ولما لم تجده افترضت أنه في إحدى غرف الجلوس الصغيرة. كانت غرفته في الطابق العلوي فوقها مباشرة. فنظرت الى أعلى ولم تجد ضوءاً. كانت تهنئ نفسها لأنها استطاعت تجنب مقابلة سكوت، ولكنها فوجئت به أمامها يكاد يصطدم بها

عندما كانت تسلك طريقاً قليلاً لتستمتع بالهدوء قبل أن تأوي الى فراشها.

فصاحت:

«أوه... أنا آسفة»

ولم تكمل عبارتها، وقد بدت يداه فراعيها... وأثارت اللمسة الذكريات وأدركت أنه ليس وجه القط الذي ظل واضحاً في مخيلتها طوال تلك السنوات الأربع، ولكن ذكرى لمسته أيضاً. وتوردت وجنتاها ولاحت ابتسامة بطيئة على شفتي سكوت وهو يحدق في وجهها لحظة قبل أن يقول:

«أين تذهبين في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟»

وابتعدت عنه جين قليلاً وأجابت:

«كنت أريد التنزه قليلاً»

«وحدك؟ لماذا لا يصحبك زوجك؟ انكما لاتزالان في شهر العسل، أو يجب أن تكونا كذلك»

وتحولت العبارات الرقيقة الى موجة من السخرية وراء احمرار وجهها... فقالت:

«انه مشغول مع الضيوف»

وحاولت أن تمضي في طريقها ولكن سكوت اعترضها وسألها ساخرة:

«هل يحب عمله الى هذا الحد؟»

«من واجبه العناية بالضيوف. ان زوجي يضع عمله قبل أي شيء آخر»

كاد لسانها يزل وتقول انه أخي، ولكنها عندما نظرت الى وجه سكوت القاتم شعرت بارتياح لأنه لم ينتبه الى ترددها... ترى هل انتبه الى ترددها؟ هل يمكن أن يحس أنها تخدعه وأنه لا ينوي أن يكشف لها عن معرفته بهذا الخداع؟ وهزت رأسها في ارتباك وأزاحت من ذهنها الفكرة.

وقال سكوت:

«زوجك اذن يضع العمل قبل أي شيء آخر؟ لقد تحولت الى زوجة متسلطة جداً

ومتفهمة!»

«أعتبر ملاحظاتك مهينة، انها تؤذيني الخاصة ولذلك أطلب منك عدم التعليق عليها»

«هل هذه هي الطريقة التي تتحدثين بها عادة مع الضيوف؟»

«ان الضيوف لايستفزونني عادة»

«قد يكون من الأفضل أن أتحرك من آنا... كنت أنوي أخبار زوجك في أول فرصة، ولكنه بدا مشغولاً جداً وقررت أخباره غداً»

وسكت سكوت لحظة ولاحت على شفتيه ابتسامة باهتة عندما رأى الشحوب يزحف الى خديها فجأة، وقال:

«يبدو أنك خفت بالفعل من آنا...»

ولكن جين هزت رأسها بشدة، وكأنها تريد أن تطرد الحقيقة قبل أن تستقر واضحة، فقال يشرح:

«انني رئيسه يا جين، لقد قررت أنه من الأفضل أخباره قبل أن تمضي في عدم احترامي»

«رئيسي... رئيسنا... هل تملك هذا الفندق؟»

«وأنا شريكه...»

وقالت متلعثمة:

«لايمكن.. لا.. لايمكن...»

«انني أعترف أنها مصادفة غريبة لاتصدق ولكن مثل هذه الأشياء تحدث فعلاً. لم أتصور أن في وسعي قضاء بقية حياتي في تجارة الأحذية ولذلك بحثت عن عمل شيق أكثر»

ورغم أنه هو الذي قدم هذه المعلومات إلا أن نبرة صوته لم تكن رقيقة بالعكس، كان الآن رئيس العمل البارد المتعالي البعيد.

«لا... أعرف ماذا أقول...»

نطقت تلك الكلمات بصورة آلية. لقد كان ذهنها مشغولاً بتلك الفكرة السابقة، وهي أن سكوت ربما كشف الخداع الذي مارسته هي وأخوها.. ولكنها فكرت.. بالتأكيد كان سيشير الى ذلك لو أنه عرف فعلاً.. ونظرت الى العينين الزرقاوين تبحث عن التعبير الذي يطلقهما تماماً.. وقررت لا.. انه لم يعلم، وتنهدت عميقاً وبارتياح، معنى ذلك أن وظيفة ليس في أمان.. وتركته قائلة:

«قلت انك في أجازة، ولكنك لست في أجازة في الواقع. لقد أتيت الى هنا لتتأكد بنفسك اذا كنا مناسبين لادارة الفندق أم لا.»

«لم آت الى هنا لأتجسس اذا كان هذا هو ماتلمحين اليه.»

«معنى هذا أنك فعلاً في أجازة»

«الى حد ما.. جئت الى هنا لأبحث عن مكان أقيم فيه.»

«هل تريد شراء منزل؟»

وأومأ سكوت.. وأخبرها أنه يعيش الآن على جزيرة سان فنسان ولكنه قرر أخيراً الاستقرار في بارباروس. وظلت تراقبه بلهفة متصاعدة. تعبير وجهه ينم عن عدم الاهتمام... ولم ترغب جين في شيء أكثر من الهرب حتى تستطيع التفكير في هذا الوضع الجديد وتقرر ما الذي يجب أن تفعله. وسألت نفسها فوراً: ما الذي تستطيع فعله؟ كان ليس متلهفاً للحصول على وظيفة في الخارج، ويجب عدم إثارة أية متاعب له مهما كان الثمن.. ولعل سكوت نفسه لن يثير لها أية متاعب بعد أن يكون له بيت على الجزيرة. ان رجلاً في مركزه لايليق به في أية حال أن يظل دائماً لمجرد أن يعرف كيف يدار الفندق. انه سيستأجر شخصاً آخر ليقوم بهذه المهمة بكل تأكيد. كانت تتمنى لو سألته الى متى ينوي البقاء في الفندق، ولكنها عدلت عن الاستفسار، واقتنعت بأنه سوف يرد عليها بطريقة تضعها في مكانها.

بدا عليه نفاد الصبر، وأدركت أنه مستعد لتركها، فحيته تحية المساء

واستدارت بسرعة وذهبت في طريق وسكوت في أثر

كانت سوزان هي التي أخبرت جين عن المنزل الذي اشتراه سكوت، لقد اتصلت تليفونياً بعد وصول سكوت الى الفندق ودعت جين للغداء الأصيل معها في باتشيبا، وعندما لم يعترض ليس ذهبت جين مسرعة باتجاهها عبر كورال غروف وتجنبت مقابلة سكوت مرة ثانية، وقالت جين «ان السيد كنغزلي يتفاوض لشراء منزل تريفتوريه الذي يقع في مكان جميل قريباً من شاطىء الفردوس»

«شاطىء الفردوس؟ انه يبعد ميلاً فقط عن هنا..»

«وما أهمية ذلك؟»

سألتها سوزان بدهشة، وأشاحت جين بوجهها حتى تتجنب عينيها. لم تكن قد أخبرت سوزان أن سكوت كنغزلي يقيم في كورال غروف، فلم تر سبباً لذكر حقيقة علاقتهما السابقة وبالتأكيد لم تكن لتذكر إطلاقاً أنه طلب منها الزواج!

وأجابت جين:

«لاشيء.. لكني الى حد ما لا أريد أن يكون رئيسي في العمل مقيماً قريباً جداً مني»

«السيد كنغزلي لايمكن أن يضايق. انه رجل ساحر لم نقابله إلا مرتين ولكننا نحبه كثيراً.. ألا تحبينه؟»

قالت جين بدون اكتراث، وهي تأمل أن تترك سوزان الموضوع عند هذا الحد.

«انني لا أبالي به»

«ولقد سمعنا أنه قادم الى هنا وكنا نأمل أن يقيم معنا حتى أنه اختار قصداً قريباً من مكان بيتنا وهذا شيء معقول.»

«هل رأيته في الجزيرة؟»

مراقصة. ولكن يبدو أن كل هذه الأمور رائعة».

«هذا صحيح.. قضيت أنا وديفيد أجازة على جزيرة سانت لوتشيا في العام الماضي وراقت لنا كثيراً. ولكننا نحب بار بادوس أكثر بالطبع».

ونظرت نحو الباب وابتسمت عندما رأت زوجها قادماً. وحيا جين وسألها عن أخيها فقالت انه بخير ويشكره لأنه ساعده في الحصول على الوظيفة. وجلس ديفيد وقال:

«الواقع أنني قدمت اسمه فقط عندما علمت بأن الوظيفة على وشك أن تكون شاغرة.. وبعد ذلك قام ليس بنفسه بكل شيء».

وقالت سوزان:

«السيد كنفرلي يقيم في كورال شيلز وقد وصل أمس».

وقال ديفيد:

«لقد قرر شراء منزل هنا.. انه منزل لطيف دخلته مرة عندما طلب منا صاحبه عمل الترتيبات لحفل اقامه».

وسألته جين باهتمام وهي تنظر اليه:

«هل هو منزل قديم أم حديث؟»

«الطريق المؤدي اليه محفوف بأشجار طويلة، وحدائقه تعتبر أشبه بالحلم. كان مقراً لمليونير أمريكي حوالى عشرين عاماً وصنع فيه روائع في المداخل والمخارج».

ثم قال ديفيد مازحاً:

«والآن ما هو شعورك كزوجة؟»

«لقد تعودت على الوضع».

وقالت سوزان ضاحكة:

«لا أتوقع أنك اكترثت بالفكرة».

«انني أكره الخداع ولكنها كانت الطريقة الوحيدة لحصول ليس على الوظيفة. أرجو ألا تحدث أية ردود فعل عنيفة».

كانت تفكر في سكوت، وتتساءل عما اذا كانت ستقترب من لحظة الخوف عندما يواجهها هو وليس بأنه يعرف بأنهما كاذبان. في مثل هذه الظروف ستنتهي التعيين حتماً وستعود هي وأخوها الى انكلترا. وعندئذ سيكون من الصعب جداً على ليس الحصول على وظيفة أخرى كمدير لفندق، طالما أن سكوت سيرفض بلا شك اعطاءه أية شهادة.

وقالت سوزان:

«اذا حدث وقابلت رجلاً ورغبت في غرامه سيكون الموقف حرجاً بالتأكيد بالطبع.. وقد يحدث هذا كما تعرفين».

وأومأ ديفيد برأسه موافقاً وهزت جين رأسها قائلة:

«لا أعتقد أنني سأقابل أي شخص هنا.. ان الأشخاص الذين التقينا بهم حتى الآن متزوجون».

وقال ديفيد:

«ولكنك لم تقابلي الكثيرين.. يوجد عزاب كثيرون في نادي اليخوت».

وقالت جين في تصميم:

«لن تكون لي أية صلة بذلك.. لا أعتقد أن هناك مايثير قلقي من هذه الناحية. هناك أشياء أخرى تقلقني».

«أشياء أخرى؟ أية أشياء؟»

«سيكون الموقف فظيعاً اذا اكتشف السيد كنفرلي مافعلناه».

«وكيف يستطيع اكتشاف هذا؟»

«كنت أتمنى ألا يستقر على الجزيرة».

وتوقفت فجأة فلم تكن تريد التعبير عن أفكارها بصوت مرتفع. وسمعت تقول في استسلام:

«ولكنه يستقر هنا وليس علينا إلا أن نأمل كل خير».

ونظر ديفيد الى جين وقال مستفسراً:

«ومن المؤسف أن «كارولين» رفضت الزواج من «ليس»... ماذا حدث بالضبط عندما رفضت «ليس» لتعمل في كورال غيبلز كنت أعتقد أنه هو و«كارولين» على وشك الزواج كان «ليس» يبدو مستقراً معها، إنما حكمت على ذلك من رسائله»

«كان جلياً لي حين أن «كارولين» لم تكن كذلك»

«لا بد وأنها صدمة له»

«كانت صدمة في الواقع، ولكنه لم يعدل إطلاقاً عن فكرة الوظيفة. كنا نعتقد في أول الأمر أنه يستطيع إقناع «كارولين» بأن تتزوجه فمضى قدماً وأجرى المقابلة مع المسؤولين»

وأنهى «ديفيد» عبارته وهو يضحك قائلاً:

«وبعد ذلك اضطررنا لإقناعك بأن تكوني... عروسه»

وظل وجه «جين» محتفظاً بكآبته، وتساءلت: ترى هل فكر «ديفيد» في موقفه لو أن «سكوت» أو أي عضو من شركته اكتشف الحقيقة؟ فهو الذي أوصى بأن يشغل «ليس» الوظيفة، ولم يكن في استطاعته إطلاقاً إنكار معرفة أن «جين» أخته وليست زوجته. كان الأمل معقوداً على عدم اكتشاف السر وذلك لمصلحة كل من يعنيهم الأمر.

وبعد عودتها إلى كورال غيبلز علقت «جين» في حديث مع السيدة «توليسون» وهي أرملة ثرية من جنوب أفريقيا، مالت إلى «جين» عندما وصلت منذ خمسة أيام بنية الاقامة حوالي ثلاثة أسابيع. كانت السيدة «توليسون» امرأة صغيرة الجسم سمراء، لها أسنان أمامية كبيرة وشفتان ممتلئتان قرمزيتان، وتحمل بجواهر ثمينة في أصابعها وحول عنقها، ثيابها غالية رغم رداءة ذوقها، وبعد وصولها كانت ترتدي حلة بخطوط سوداء وقبعة تثير الأسى. على حد تعبير «ليس» تسير مثل رجل، رجل الفيل كما قال «ليس» وتحمل دائماً حقيبة ضخمة مزينة بالزهور، وغاص قلب «جين» عندما نادتها السيدة «توليسون» وهي تدخل الفندق، ولم

يكن أمامها إلا الذهاب إليها والجلوس على المقعد الذي أشارت إليه وهي تقول:

«أخبريني يا طفلتي العزيزة... لقد بدأت أشعر بالوحدة... أين كنت طوال فترة بعد الظهر؟»

«ذهبت إلى الطرف الآخر من الجزيرة لزيارة أصدقائي الذين يديرون فندق النخيل في باكسيا»

«باكسيا... أوه... انه جزء جميل من الجزيرة. أعتقد أنني سأقضي أسبوعاً هناك قبل رحيلي. ماذا ستقدمون لنا من تسلية هذه الليلة؟»

«كالعادة يا سيدة «توليسون»... الرقص المحلي والفرقة الحماسية»

«لقد سمعت موظفة الاستقبال تتحدث عن عرض أزياء»

«نعم سيكون ذلك مساء الجمعة»

«ترى هل سأجد ثوباً يناسبني؟ انكم تعرضون دائماً المقاسات الضيقة التي تناسب فتيات في حجم أعواد الثقاب»

«أعتقد أنه توجد بعض الملابس التي تناسب الحجم الكبير»

«انك لم تأتي إلى هنا إلا منذ فترة قصيرة كما علمت...»

«وصلت منذ أسبوع فقط في الواقع»

«هل كنت تعملين في فنادق قبل ذلك؟»

«كان أبي...»

وتوقفت «جين» عن الكلام، ونظرت بهلع إلى وجه رفيقتها بعينيها اللامعتين، وشعرت بارتياح كبير عندما رأت أن المرأة لم تلحظ الغلطة، وعادت تقول:

«ان زوجي كان يعمل في فنادق طوال حياته منذ أن تخرج من كلية التدريب»

«ومتى تخرج؟»

«منذ اثنتي عشرة سنة... انه في الخامسة والثلاثين»

«لا بد أنك أصغر منه بكثير»

«انه يكبرني بإحدى عشرة سنة»

«هذا كثير جداً... ان الرجال لا يعيشون طويلاً مثل النساء في أية حال. لذا تزوجت رجلاً أكبر منك بكثير فانك ستتركين وحيدة عندما تكبرين في الخمسين من عمرك، وعندئذ لن تجدي زوجاً آخر»

وضحكت جين وقالت:

«لا أعتقد أنني سأرغب في زوج آخر»

«ان المرأة ترغب في زوج دائماً. أنا شخصياً أريد زوجاً... وأبحث عنه طوال الوقت»

وفي هذه المرة كانت جين دبلوماسية، فلم تضحك وقالت متظاهرة بالاهتمام:

«منذ متى ترملت ياسيدة تولسون؟»

«قبل خمس سنوات ونصف، انني لا أحب العيش وحيدة ياسيدة كورتس»

وسكتت عندما اتجه سكوت نحوهما، وقالت بصوت غير مسموع:

«ها هو ذا رجل كان في وسعي أن أضع عيني عليه لو كنت أصغر ببضع سنوات وهو أكبر ببضع سنوات، ترى لماذا لم يتزوج حتى الآن؟ ان النساء اللواتي قابلته لابد أنهن كن نصف عاقلات. أهلاً ياسيد كنغزلي.. تعال أجلس معنا»

أجاب برقة وهو يجلس على الكرسي المقابل لها:

«كنت أنتوي فعله»

ونظر الى جين ولاحظ من الحمرة القاتمة على وجنتيها كأنها شعرت بقلق من شيء، فجأة، ابتسم ابتسامة خافتة، واتكأ الى الخلف ومد ساقيه الطويلتين. واتجهت العينان الزرقاوان الى رفيقة جين، وبدت في أعماقهما لمحة من المرح. وقالت السيدة تولسون:

«ماذا كنت تفعل ياسيد كنغزلي؟ هل كنت تسير وحدك في برينتيتاون؟ لقد رأيتك هذا الصباح. انني أشعر دائماً بالحيرة عندما أرى رجلاً لطيفاً وحيداً. أخبرني، لماذا لم تتزوج؟ لقد كنت أنا والسيدة كورتس في الواقع نتكلم عن هذه الظاهرة»

وحدقت جين في دهشة وحرج، وكانت تتمنى لو أنها أبدت أية تعليقات عن سكوت، ولكنه منعها بقوله:

«صحيح؟ انني أشعر بالسعادة لأنني كنت جديراً باهتمامكما»

ومضت السيدة تولسون تقول:

«كنت أقول للسيدة كورتس توا إن النساء اللواتي قابلتك لابد أنهن كن نصف عاقلات»

«لا أظن أنني أفهم»

«انك تشكل تحدياً لأية فتاة شابة.. فتاة غير متزوجة، أقصد أنه خسارة عندما يظل رجل مثلك بدون زواج»

وطرفت العينان الزرقاوان، وهما تحولان نظرتهما الى وجه جين.

واعترف برقة قائلاً:

«أظن أنني لست مناسباً للزواج ياسيدة تولسون، وكما قلت للسيدة كورتس بالأمس فقط لماذا يتحمل الرجل مسؤوليات عندما يستطيع الحصول على كل المسرات بدونها؟»

وحرك شيء غريب عواطف جين، وأدركت أنها تكره نبرة سكوت ومضمون كلماته وتلميحاته.. ترى لماذا تكره حديثه بهذه الطريقة؟

«ستلتقي بالفتاة التي تناسبك في يوم ما أيها الشاب، لقد وقع رجال أمهر منك في فخ الزواج»

وامتقع وجه سكوت، كان واضحاً جداً أنه لم يكن مسروراً مع السيدة تولسون، على أنه احتفظ بأسلوبه المرح عدة دقائق قبل أن يقول لجين:

«ترى هل أزعجك ياسيدة كورتس؟ هناك مسألة صغيرة أود مناقشتها معك على انفراد»

«طبعاً... عن اذنك ياسيدة تولسون»

وخفق قلبها، وعندما نهضت واقفة شعرت بضعف في ساقيها.

وقالت السيدة تولسون:
«عودي بسرعة يا عزيزتي فانني في حاجة الى شخص أتحدث معه»

وقالت جين: انها ستحاول، ولكنها أضافت انها قد تضطر الى مساعدة زوجها.

وما كادا يبتعدان عن سمع السيدة تولسون حتى نظرت جين بقلق الى وجه رفيقها وهما يعبران غرفة الجلوس وقالت:

«ما الذي تريد أن تتحدث عنه؟»

ورمقها بنظرة حادة:

«تبدين قلقة بطريقة غير عادية يا جين، هل هناك ما يزعجك؟»

«يزعجني؟ لا... لماذا تسأل هذا السؤال؟»

«تغير وجهك. ومرة صريحة، الواقع أنني أردت انتشالك فقط من صديقتنا السيدة تولسون.»

«صحيح؟»

وصلا الى المدخل الأمامي للفندق، فتوقف سكوت وهو يحدق في سائق التاكسي المرح الذي أحضر ركابه الى الفندق، ثم وقف ينتظر زبوناً، وانعطفت العينان الزرقاوان الى وجه جين وقال بهمس:

«لقد بدا عليك القلق وأشفقت عليك.»

«هل تقصد أنك جئت الي لهذا الغرض الوحيد؟»

«تماماً يندر أن يمضي شخص الى امرأة مثل السيدة تولسون ثم الاستمتاع بحديثها.»

ولفت انتباهه هذه المرة ليس، الذي بدا يبطء كبير نحو المدخل وهو يصحب سيدة عجوزاً جداً تتوكأ على عصا، وقال ملاحظاً:

«زوجك يبدو رجلاً صبوراً جداً، وعطوفاً أيضاً. أعتقد أنه يحتفظ بمرونته لك وحدك.»

وأخيراً وجدت جين نفسها تحت انتباه نظرة سكوت. كان مظهر أخيها لا يهم مسيطراً، كانت أطول قليلاً من المعتاد، جسمه نحيل ورغم أن كتفيه كانتا عريضتين، لكنه لم يعطيا انطباعاً بقوة غير ظاهرة أو ملامح مهادنة أكثر منها صلبة، عيناه البنيتان الكحلاوان تعبيراً عنيفاً. وظهرت بسمته الماكرة عندما شاهد سكوت وجين واقفين هناك وقال:

«هل ستكونان على ما يرام الآن يا سيدة بيكر؟»

«كان لطيفاً منك أن تسير معي يا سيد كرايس، انني أستطيع السير وحدي لكن ابنتي تريد عندما يكون شخص معي، وعدتني بالسير معي ثانية غداً صباحاً، ولكن اذا كنت مشغولاً فلن أزعجك.»

وابتسمت له ثم للشخصين الآخرين وقالت:

«سوف أذهب الى غرفتي الآن وأرجو أن ترسل الي عشائي.»

«بالتأكيد.»

وقالت جين بطريقة تلقائية:

«أليست السيدة العجوز ظريفة؟»

ثم أضافت:

«انها رائعة.. آمل أن تكون لي شجاعتها عندما أبلغ سنها.»

والتفت سكوت وحدق في جين بنظرة غريبة، كانت عيناها صافيتين وراقدتين، وفمها يتقوس بابتسامة حانية وهي تراقب السيدة العجوز تتحرك بصعوبة نحو المصعد وقال ليس:

«انها امرأة طيبة أيضاً، لا تشعر بلحظة ملل وأنت معها.»

وقال سكوت:

«لم أتحدث معها حتى الآن، ولكن يجب أن أفعل. انها رائعة كما تقول جين.»

ونظر اليه ليس بسرعة، كانت هذه هي المرة الأولى التي يناديها أخته باسمها الأول، ويعتقد ليس، متأسف في الطريقة التي ينطق بها الاسم وكأن لديه

الحق في ذلك، ومع هذا كان يشير إلى لويس دائماً بقوله سيد كورتس.

وقال لويس لجين بعد فترة قصيرة، وهما يجلسان في غرفة الجلوس الخاصة بهما في الطابق الأول:

«إنه ينادينا جين بينما يشير إليّ دائماً بقوله سيد كورتس».

«هذا لأنه يعرفني من قبل».

«ولكنه الآن رئيسنا في العمل، والمفروض أن يعاملك بطريقة رسمية».

والواقع أن جين لم تكن تعتبر سكوت رئيسها، فقالت:

«أعتقد أنه سيجد صعوبة في أن يناديني سيدة كورتس».

وبدأ لويس يفكر ثم قال:

«عندما اكتشف من أنت، ألم يعلق على أنك لم تغيري اسمك بعد زواجك؟»

«نعم، وقد ذكرت له هذا عندما أخبرته بكل شيء».

«صحيح؟ آسف يا جين، لابد أنني لم أسمع...»

وبدا أنه غرق في التفكير ثم أضاف:

«من الواضح أنه نسي أن اسم أختك كان ليلي».

«ومن أجل هذا أشعر بالامتنان. لقد مررت بدقائق تعيسة وأنا أعتقد أنه ربما تفطن إلى الخداع. وفي ذلك الوقت لم أعرف أنه رئيسنا».

«لو أنك كنت تعرفين لكان الأمر أسوأ عشر مرات بالطبع. من حسن حظنا أن ذاكرته ليست جيدة».

«غريب أنني لم أذكر اسمك إطلاقاً أمامه. الواقع أن صداقتنا لم تكن حميمة جداً بحيث نتبادل الأسرار ونتحدث في تفاصيل حول أسرتينا. كنت أعرف أن له أباً رائعاً وكان يعرف أن لي أختاً، وكنت أقول أختي وهو يقول أبي بدون ذكر الأسماء نفسها. الواقع لا أعرف اسم أبيه».

«ألم يذكره لك إطلاقاً؟»

«لا أعتقد ذلك، وإذا فعل فقد نسيته».

«ولكن يبدو أن الشيء نفسه حدث مع سكوت».

ونظر لويس إليها بفضول وسألها:

«ما الذي جعلك ترفضينه؟»

«لم نكن متوافقين».

«أعتقد أنه يبدو المثل الأعلى لمعظم الفتيات».

«هل تقصد لأنه وسيم؟»

«ليس هذا فقط. يبدو أنه يتميز بكل شيء... المظهر وقوة الشخصية».

وفكرت... قوة الشخصية... ثم قالت:

«في ذلك الحين كنت أعتقد أنه ضعيف إلى حد ما».

«ضعيف؟ بأي معنى؟»

«كنت دائماً أملي عليه إرادتي، ويخضع لي بسهولة شديدة».

وابتسم لويس وقال:

«وأنت - مثل كل النساء - تريدين رجلاً له ميول رجل الكهف. هل هذا ما تقصدينه؟»

وضحكت رغماً عنها وقالت:

«لم أكن أريد زوجاً أستطيع لويه حول أصبعي الصغير».

«من المستحيل أنك كنت ستلوين سكوت حول أصبعك الصغير... من الذي أعطاك هذه الفكرة؟»

«لم تكن فكرة، بل حقيقة. كنت أطلب وكان يستسلم فوراً... ويعطيني انطباعاً بأنه يخشى أن يغضبني».

ورد لويس وهو لا يصدق:

«هو يستسلم؟ مستحيل».

«ليس الآن... لقد تغير كثيراً».

«لا بد أنه تغير لأنني متأكد أنه لا تستطيع امرأة أن تجعله يستسلم الآن. يخيل لي

أنه عندما يتزوج سوف يأخذ حقه من البداية.»
وأومأت موافقة. وقالت:
«لاحظت التغيير.. وهذا أقلقني.»
«هل عرف لماذا رفضته؟»
«نعم. لقد أخبرته عندما سألني لماذا رفضته.»
«ألا يمكن أن يكون انزعاجه سببه هذا التغيير، وهو تغيير كبير على ما أعتقد. لا أعتقد أن سكوت كان ضعيفاً، الرجل لا يتغير بهذه الطريقة. أعتقد أنه كان يحبك جداً بحيث جعلك محور كل رغباته.»
وبعثت جين رفضها للرجل جفافاً غريباً في حلقها، وتذكرت الآن أنها لم تنجذب نحو أي رجل طوال تلك السنوات الأربع. هل يمكن أن يعني هذا أن سكوت احتل بدون أن تدري مكاناً هاماً في قلبها وعقلها؟
وتكلمت أخيراً وقد بدا في صوتها تعبير ينم عن التفكير والقوة وقالت:
«لقد تغير في نواح أخرى. انه ساخر متهكم، يحاول اقناعي بأنه من السهل عليه الحصول على النساء وأن الزواج لا يروق له، وأعطاني انطباعاً بأنه يحتقر كل النساء وليس فقط الزواج.»
ومالت كلماتها على شفتيها، ولاحت ابتسامة على وجه أخيها وقال:
«فالزواج شيء معين..»
وشرد ليس في التفكير ثم سألها:
«هل هناك أي احتمال في أن تحبيه الآن بعد أن ظهرت صفاته الأخرى؟»
وهزت رأسها، ولكنها كانت حركة آلية وقالت:
«لا أتوقع رؤيته كثيراً بعد استقراري في بيته.»
«ولكنك لم تجيبي عن سؤالي يا جين.»
ونظرت الى أخيها ولاحظت القلق في عينيه، وقالت:
«لا تقلق يا ليس ان سكوت لم يعد يهتم بي. في أية حال انه آخر رجل

يتورط مع امرأة متزوجة وخاصة اذا كانت زوجة لأحد موظفي شركته.»
«إنك على حق. لابد أنه أحبك في يوم من الأيام. ولكن أليس غريباً أنه لم يتزوج اطلاقاً؟»
«أعتقد أن رفضي له أثر عليه كثيراً، وأحسست به هذا التغيير الذي أشرت اليه.. التهكم.. والسخرية البادية عليه. لقد رفضت عرضه للزواج ولا بد أنه شعر بالمرارة، وقد أدى هذا بطريقة آلية الى موقفه الذي يتخذه الآن نحو الزواج. لن يهتم بي ثانية أبداً.. فلا حاجة بك الى القلق يا ليس بشأن وضع أضطر فيه الى الاعتراف بخداعنا لسكوت.»
«هل أنت متأكدة من الأفضل اخباره الآن يا جين، فإذا كان لابد أن أعمل لديه فليكن ذلك قبل وضع أية جذور في هذه الجزيرة.»
وردت باقتناع:
«لن تضطر الى اخباره... ان سكوت، كما قلت، لم يعد يهتم بي.»

٣ - مشاعر نصف خامدة

في صباح اليوم التالي قامت "جين سكوت" عندما لاح الفجر تقريباً. أرادت أن ترى الشروق من فوق التلال. فاستيقظت باكراً متوقعة الاستمتاع وحدها بروعة الصباح. ولذلك استاءت عندما شاهدت "سكوت" خارجاً من الفندق، وحياها قائلاً:

«...مرحباً»

«صباح الخير يا سيدة "كنغزلي".»

«أتوقع أن زوجك أعطاك تعليمات بمخاطبتي باحترام أو لعله أمرك بذلك.»

وتدفق الدم إلى وجنتيها مما زاد شعوره بالبهجة إلى حد كبير.

وعاد يقول وهو يضحك:

«الأمر يتعلق بسعادة غامرة فالمرأة تستمد سعادة من سيطرة الرجل عليها... أم أنها ...ـه إثارة. أم مثلك الغريبي "ياجين"... أيتها الحمقاء عندما يتصل الموضوع ...النساء. لا أستطيع التذكر بالضبط ما قلته. أذكر قولك إنني لا أملك شخصية ...يقة.»

إنه يهزأ بها، ويجد متعة كبيرة في هذا، وراء احمرار وجهها. كان هذا الرجل لغزاً ...شخصاً لم تعرفه من قبل إطلاقاً... ولن تستطيع معرفته... هكذا فكرت...

...شعرت بشيء من القلق عندما تذكرت أنه سيغادر الفندق.

«...محقاً "ياجين"... ألن تروي عليّ ما الذي تشعر به المرأة عندما يسيطر عليها الرجل؟ أود أن أعرف.»

وقالت بصوت مختنق:

«لم أطالب بهذا يا "سكوت".»

«عدنا إلى "سكوت" ثانية... انتبهي "ياجين" وإلا قد يساء معاملتك. أعتقد أنه من الأفضل معاملتي كما أمرك بكل احترام.»

ولم تجد ما تقوله... ومرة أخرى رقصت عيناه الزرقاوان بسخرية يشتد فيها الحياء وأضاف:

«لا تبدين سعيدة في الوقت الحاضر... هل تخشين أن أفضل زوجك؟»

وعندئذ بدا عليها الذعر وقالت:

«لن تفعل "ياسكوت"... "يا سيد كنغزلي". أرجوك قل إنك لن تثأر من زوجي.»

وقال بحدة، وقد بدا الغموض على وجهه الفاتن:

«قد أفتقر إلى قوة الشخصية وغيرها، ولكن الحقد لا يجد طريقه إلى نفسي... زوجك يبدو شخصاً صادقاً وله ضمير حي. وأعتقد أنه سيكون دعامة كبيرة لشركتنا.»

قالت متنهدة بارتياح:

«أشكرك، سوف يسعد زوجي عندما يعرف أنك راض عما تراه هنا.»

وبعد فترة صمت قصيرة سألها "سكوت" عن السبب في استيقاظها باكراً، وعندما أخبرته أنها أرادت رؤية شروق الشمس رفع حاجبيه وقال:

«الشمس أشرقت.»

«نعم كما تحدث. سوف يشهد أصدقائي منظراً رائعاً. سيرون الشمس تشرق من حافة البحر.»

ورد مفكراً:

«أصدقاؤك... السيد والسيدة "شور". لقد أخبرني "...". [illegible] "... شور" هو الذي رشح زوجك لشغل وظيفة المدير هنا.»

«نعم.. هذا صحيح»

«هل تعرفين أنت وزوجك أسرة شور منذ عهد طويل؟»

وتنهدت.. فإذا اكتشف سكوت الحقيقة فإن ... سيواجه متاعب بلا شك، وبدأت جين تتحدث الآن بحذر وأناة.

«كنا أصدقاء في انكلترا، ولكننا لم نر بعضنا لفترة ثلاث سنوات حتى أتينا إلى هنا منذ أسبوع»

وبدا على وجهه تعبير غريب وبدا مسروراً من أفكاره، ولكن عندما تكلم لم تعرف جين شيئاً من هذه الأفكار وسألها

«هل ترقصين يا جين أم عائدة إلى الفندق؟»

أدهشها تغير الموضوع فجأة ولكنه أثار ارتياحها، فمن المؤكد أنها ستزيد في ... سكوت بالتحدث عن أسرة شور، ولم تنتبه إلى أن تغيير الموضوع فجأة قد يكون له أسبابه.. ولكنها فكرت في ذلك فيما بعد وعرفت السبب. قالت:

«كنت أعتزم القيام بنزهة سيراً على الأقدام»

ولم تلبث أن ندمت على ما قالته، وتمنت لو أنها قالت إنها عائدة إلى الفندق ... قريب منه.. كانت تخشى صحبته.. تخشى أن تقول شيئاً قد يثير شكوكه ... في علاقتها بمدير الفندق، وأجاب:

«... سنسير سوياً»

ولم تدهش جين. كانت تعرف أنه سيقترح ذلك، واستطرد قائلاً:

«... البحر في هذا الوقت من السنة ساحراً مثل امرأة جميلة»

... الضحك يشوب كلماته، وتنهدت فجأة وفكرت.. إن هذا الرجل ليس جذاباً ... سكوت الذي كانت تعرفه.. ودهشت من اعترافها بجاذبية سكوت ... السابقة، ولم تستطع إلا تذكر ذلك اليوم الذي عرض عليها فيه الزواج، كان ... وسلوكه لطيفاً جداً، وأشبه بصبي صغير ليس واثقاً من نفسه تماماً

ولكنه واثقاً مما يريده كان في السادسة والعشرين من عمره وبدون خبرة عن النساء، وتساءلت ترى كم عدد النساء اللواتي عرفهن منذ ذلك اليوم؟ وقطع أفكارها عندما قال:

«إنك ساكتة يا جين»

«كنت أفكر»

«تفكرين في أي شيء؟»

«أشياء من كل نوع»

«بدون تحديد؟»

ووجدت نفسها في حالة غريبة.. حالة لن تستطيع نسيانها بسرعة، نبضها يسرع، وشيء ما يرتجف في صدرها، وتذكرت لمساته.. قبلته.. كلماته الحانية قبل أن يطلب منها بكل ثقة أن تتزوجه، وسألها

«أخبريني يا جين.. ما الذي يشغل تفكيرك؟»

كان رأسه مائلاً، وفجأة شعرت بنفسه الدافئ يلفح وجهها وكأنه على وشك أن يلمس شفتيها

كانت أعصابها متوترة، وأفكارها مشوشة.. وبحركة سريعة من جسمها ابتعدت عنه، واحمرت وجنتاها وارتعشت شفتاها وبدا سكوت مأخوذاً بالصورة التي رآها، وظل يحدق صامتاً في وجهها الجميل لفترة طويلة، ثم أرخى أهدابه فأخفت تعبير عينيه.. وبدأت تسير مرة أخرى وتخلف عنها خطوة، وبعد لحظات كرر السؤال.. وترددت، ثم.. وبقوة دفعتها رغم إرادتها أخبرته بصراحة أنها كانت تفكر في التغيير الذي طرأ عليه منذ الأيام حين خرجا معاً لأول مرة عقبها قائلاً:

«أدركت أن هذا التغيير قبل ذلك، وقلت لك إنني آمل أن يكون تغييراً إلى الأفضل»

«فأصبحت ساحراً...»

«ألا يوجد تغيير آخر؟»

وحدقت «جين» حائرة.. كان لديها انطباع غريب بأنه يريدها أن تقول له الحقيقة، أن تقول له إنه الآن متعجرف متعال وكله ثقة بنفسه، وأنه لايشبه بأية حال الرجل الذي عرفته من قبل. وقالت متغاضية وهي لاتستطيع التعبير عما كان في ذهنها:

«أنك اختلفت...»

«إن الاختلاف يعني التغيير عادة»

قال هذا بسخرية خفيفة، وراقب الدم يتدفق الى خديها واستمر يحدق فيها ثم أضاف:

«وما هو هذا الاختلاف يا «جين»؟»

ثم أضاف في تهكم:

«هذا الاختلاف الذي طرأ علي والذي أشرت اليه مرتين.. هل لك أن توضحي ذلك؟»

كان يسخر منها.. يتلاعب بها.. من كان يصدق أن باستطاعته فعل هذا؟ هذه السمكة الهلامية بدون عمود فقري كما وصفته مرة بكل حماقة.. وسألته:

«هل يهمك أن أشرح؟»

«يهمني جداً»

«إنك رئيسي..»

«لاتقلقي على أخذ بثأري.. إني أقبل أن وجهة نظرك ستكون مجاملة كبيرة لشركتنا»

«حسنا»

وترددت.. وأخيراً قالت:

«إنك متعجرف الآن، ومتسلط.. بينما كنت قبل ذلك لبقاً... ولطيفاً»

وأعقب هذا صمت غريب ثم قال:

«ربما التجربة بالزوجة.. تغير شخصياتنا، لا مكان في هذا العالم للرجل الذي

يكون لطيفاً و... ليناً على حد تعبيرك»

وبدون شعور تنهدت وقالت:

«كنت رجلاً ألطف في ذلك الوقت»

وتوقفت بسرعة مستاءة مما قالته.. ولكنه كان قد سمع كلماتها ورفع حاجبيه وقال يذكرها:

«إنك لم تعتبريني لطيفاً في ذلك الوقت!»

ولاحظ ضيقها، وكان واضحاً أنه يستمد سعادة منه.. واستطرد قائلاً:

«لم يكن النوع اللطيف يروق لك.. كنت تريدين في زوجك سيطرة تجعلك تحت إمرته.. تسلبك ارادتك الخاصة بك، وتحولك الى مجرد ظل.. إن انسانة ضعيفة تديرينه أينما يحلو لك. كنت تريدين «ذلك الطراز» من الرجال الذي لايسمح بحذف كلمة الطاعة من عهود الزواج»

وبدت البهجة على وجهه، وانعكس هذا في العينين الزرقاوين، وسألها:

«ألست على حق؟»

«إنك تشوه الأمر كله يا «مكورت».. يا سيد...»

وقاطعها بهدوء قائلاً:

«مكورت.. تكلمي»

«إنك تبالغ.. كنت فقط أريد رجلاً يتسم بقوة الشخصية»

«وهل تعتقدين أن الرجل اللطيف تعوزه قوة الشخصية بطريقة آلية؟»

«إنك تعقد الأمور»

«لاشيء من هذا.. إنني أذكر الحقائق كما شهدتها»

ولم تجد «جين» ماتقوله.. كانت تريد الهروب، وعبرت عن ذلك بنظرتها السريعة الى الفندق. ولكنه قال:

«تعالي.. دعينا نستمر في رحلتنا»

كانت حدة صوته قد خفت، ووجدت نفسها عاجزة عن منع أفكارها من

القوص في مناطق عزلة.. وسلكت الطريق الذي يمكن أن تسلكه لو أنها لم تعبر
ن رأيها في شخصيته على نحو متهور. بالشجعة أنها رفضت عرضه للزواج، كان
كن أن يكون لديها أطفال الآن. أطفال يجرون في هذا المرج الساحر من العالم
ى هل كانت تحب؟ أن ما تنطوي عليه حالتها أحدث أثراً منفصلاً عليها. يجب
لا تفكر في احتمال أنها تهتم به.. لا... يجب أن تنسى أن الفكرة خطرت على
لها.. وإلا ظلت تفكر فيها حتى يجيء اليوم الذي لا بد أن تواجه فيه الحقيقة.

قالت آخيراً

يجب: أعود.. لدي بعض الأعمال..»

وأجاب وهو ينظر إليها

عمال؟ ظننت أنك قلت إنك لا تعملين كثيراً»

ني في العادة أنسق الزهور للحوانيت وأحب أن أكون في مكانها وقت الافتتاح»

ن يجب ألا أمنعك من واجباتك... من المحتمل أن أراك وقت الافتتاح»

قال ذلك بوصفه رئيس العمل البارد الذي لا يكترث، وشعرت «جين» بشيء
لمس في داخلها

وظلت غاضبة بعد أن استدارت وسارت بعيداً.. وحتى بعد أن بدأت تسير
الطريق، وجدت نفسها عاجزة عن مقاومة النظر إلى الوراء

ولكن بعد أن عادت إلى كورال شيلز ظلت صورة الملامح القاسية الجميلة
ه باطنها. مما جعلها أخيراً تؤنب نفسها وتمنع أي مزيد من التفكير في
كوت كشخص الذي كان رئيسها فقط.. ولا شيء أكثر من هذا

بعد أيام بعثت «جين» في سيارة «سكوت» إلى المنزل الذي اشتراه في
يقدورة منذ أسبوعين وطلب منها أن تكون سكرتيرته الخاصة وتعمل في
على هذا الأساس.. دهشت وقالت إن لديها بعض الأعمال عليها تأديتها في
ل شيلز ولكنه تجاهل ذلك وكرر الأمر.. نعم... كان أمراً.. ولم يكن هناك
إلا أن تفعل ما طلب منها، فأخذها لرؤية مكان عملها، وهو غرفة قريبة

جداً من غرفة المكتب الجميلة الخاصة «بسكوت» وعمه.

شيء غريب جداً ما عانيه في ذلك اليوم، عندما التقت فجأة ترأسه هنا. وكان بالطبع يعرف طبيعة عملها السابق في انكلترا، ولذلك لم يكن في استطاعتها تفادي الموضوع بحجة أنها لا تستطيع الكتابة على الآلة الكاتبة أو الاختزال. تحدث «سكوت» مع «ليس» حول العمل الذي تريده «جين»، وفيما بعد عندما ناقشت «جين» وأخيراً تحول الأحداث الجديد المفاجئ، نظرت إليها «ليس» نظرة غريبة وقال:

«شيء عجيب حقاً.. إنه يأخذك مني كل يوم ما عدا عطلة نهاية الأسبوع بالطبع»

«فعلاً هذا شيء عجيب، فهو يعلم أننا زوجنا منذ عهد قريب، وإصراره على ذهابي والعمل لديه يبدو خطأ»

«ونصدمين بخبرتك منه القديم؟ نعم هناك شيء عزيز جداً حول هذا الموضوع. لا أجد تفسيراً لتصرفه ومع ذلك يجب أن تذهبي.. إن كلمته قانون... وقد انتهى الأمر»

كلمته قانون! ابتسمت «جين»، ورغم أن ابتسامتها كانت تشوبها المرارة... فإن «سكوت» أصبح يأمر الآن. «سكوت» الذي احتقرته بسبب ليونته؛ وتطبع «سكوت» أفكارها بصوته البارد الخالي من العواطف عندما قال:

«حسناً.. أريد أن تحبي مكان عملك»

قالت «جين» وقد بدت اللطافة في نبرة صوتها، رغماً عنها

«إنه منزل جميل... لا بد أنك فخور بامتلاكه»

ولم يقل شيئاً، وعندما أوقف السيارة كان لديها انطباع بأن مرارة مفاجئة قد انتابته، ولكن الانطباع اختفى في الحال ووجدت وجهه مبتسماً وهو يفتح لها باب السيارة لتنزل منها. كانت الابتسامة غير عادية، ولا تحمل أية سخرية أو أي تهكم، وأخيراً قال وهما يدخلان المنزل من مدخل رائع تصطف على جانبيه أعمدة

من الحجر المرجاني الأبيض:

«أفضل العيش ببساطة أكثر، لا مانع من الحفلات ومآدب العشاء باعتدال، ولكن التعقيد التي لا هدف لها، والتي هي في الواقع مجرد هروب من الملل، لا تعتبر ضرورية بالنسبة إلي.. ان لدي عمل ومتعاً أخرى معينة»

قال هذه العبارة الأخيرة بنبرة رقيقة غريبة جعلتها تحدق فيه، واحمر وجهها قليلاً.. وتقوست شفتاه الجميلتان وأضاءت العينان الزرقاوان بدعابة أثارت الذكريات لديها.. ذكريات أيقظت مشاعر كانت من قبل تعصف عاصفة.. وبعد لحظة صمت طويلة قال:

«نعم لدي متع أخرى.. أتمتع بها أكثر كثيراً من الحفلات والمآدب»

وأشاحت «جين» بوجهها، ياله من رجل ساذج، هل أصبح رجلاً عابثاً الآن.. وامتلأت نفسها بالندم لأن التغير كان شاملاً الى هذا الحد.

«هل هذا هو المكان الذي سأعمل فيه؟»

قالت «جين» ذلك بعد عدة دقائق عندما فتح «سكوت» لها باب غرفة متوسطة الحجم، بها مكتب وكل الأجهزة الضرورية لغرفة العمل.. وأضافت وهي تدخلها وتسير نحو النافذة:

«انها جميلة، انظر المشهد يا «سكوت».. لن أستطيع انجاز أي عمل»

ولم تعد الوظيفة عنده.. وانما الفتاة المتطلعة التي عرفها من قبل، والتي وقع حبها بجنون. والتفت اليه، كان قد تبعها داخل الغرفة ووقف بجانب المكتب ...داً في أعماق عينيه تعبير لا تعرف كنهه. وأشاحت برأسها وهي لا تستطيع مواجهة نظرته.. واقترب منها، وشعرت بقربه. شمت رائحة الصابون العطرة على ...ه وهو يمنحها ليسأل اذا كان الأثاث والأجهزة تروق لها، وتمتمت بنعم ثم أعقب ذلك لحظة صمت أخرى، صمت عميق متوتر شامل يلف كل شيء. كان إحساس «جين» أنها دخلت فخاً.. لا.. انها قيدت داخل فخ، وأنه منذ هذه اللحظة يتعين عليها أن تقاتل للهرب، وطرفت عيناها وقد أذهلتها هذه الفكرة السخيفة، وأنقذت

الأعصاب الطويلة طلاءً فوق خديها. وفي اللحظة التي أعقبت ذلك كان رئيس العمل المتعقد المتعالي يقول:

«ان ساعات عملك ستكون من التاسعة حتى الخامسة. أما بخصوص الراتب فسوف نناقش ذلك فيما بعد، انك وزوجك تتقاضيان الآن راتباً مشتركاً، ومن الواضح أن هذا الراتب سوف ينفصل بحيث تتقاضين راتبك ويتقاضى زوجك راتبه»

وأومأت موافقة وقالت:

«متى تريدني أن أبدأ؟»

«يوم الاثنين، تستطيعين استخدام إحدى السيارات التابعة للشركة، وبعد ذلك ربما تفضلين أن تكون لك سيارتك الخاصة..»

«لقد فكرت في ذلك»

«سوف تحتاجين الى شيء من النصح اذا كنت ستشترين سيارة مستعملة.. سوف أنصحها لك عندما تجدين واحدة»

وتساءلت.. ترى هل تهمه سلامتها؟ ومن الغريب أن الفكرة أسعدتها

«هل ستعود بي الآن؟»

هكذا سألته عندما غادرا الغرفة، وصحبها الى البهو ومنه الى الشرفة الأمامية.

«نعم.. لا يوجد ما تحدث عنه في الوقت الحاضر لن أكون هنا عندما تأتين صباح يوم الاثنين، ولكنك ستجدين هنا رسائل فوق مكتبك، اكتبيها على الآلة الكاتبة، وسأعود حوالي الساعة الحادية عشرة»

«هل ستذهب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع؟»

طرح السؤال قبل أن تدرك أنه ليس من حقها سؤاله، وعضت شفتها بينما رفع حاجبيه، وقال بهدوء:

«هذا شأني»

«أصدقه»

«سوف تقوم بيرل بتقديم قهوة الصباح لك، لقد ورثتها من أصحاب المنزل السابقين مع معظم الخدم الآخرين»

«أشكرك»

قالت جين هذا شاعرة بالحرج لأن سلوك سكوت أصبح جامداً وسلطوياً

«هل هناك ما تودين أن تسأليني عنه»

قالت وهي تهز رأسها

«لا أستطيع التفكير في شيء حالياً»

«في هذه الحالة سأعود بك الى كورال غيبوز»

وقاد السيارة في دائرة قبل أن يعود الى الطريق، وشهقت جين في داخلها عندما رأت منظر الحدائق. كانت هناك زهور بديعة تفوح منها روائح عطرة فقالت

«وهل هذه الغابة ملكك»

«الغابة؟ انها مجرد أحراش. نعم.. انها تخص المنزل، أعتقد أن قروداً كثيرة استقرت فيها»

«قرود؟ بالروعة.. لم أر قرداً في حياتي»

«لا؟ إنها هنا.. سوف تشاهدينها من حين الى حين وهي تعبر الطريق الى الجزء الشرقي من الجزيرة. لقد رأيتها بنفسي»

«أتمنى ان أراها»

«عليك اذن التجول في هذه الأحراش وسوف تشاهدينها»

قالت بعد فترة:

«كانت الجزيرة مغطاة بغابات كثيفة من قبل»

«هذا صحيح، ولكن اقتلاع الأشجار كان ضرورياً لزراعة قصب السكر لا بد انك لاحظت أنه ينمو بوفرة هنا في باربادوس»

«نعم لاحظت، ولا عجب أنها تسمى جزيرة السكر»

«هذا اسم واحد لها ويوجد اسم آخر، اسم أكثر شاعرية، ألم تسمعي به»

«لا لم أسمع به»

«جزيرة زهرة القمر القرمزية، انه اسم جميل، ألا تعتقدين ذلك؟»

ترى هل كانت هناك لمحة من السخرية في نبرة صوته؟ شعرت أن سخريته مازالت موجودة الى حد كبير.

«جميل حقاً، وكما تقول، شاعري»

قالت ذلك لمجرد أن تلطف رد فعله، ولكنه كان يركز على القيادة ولم يعلق بأي تعليق، وظل صامتاً رغم أنه كان يفكر بقية الرحلة القصيرة، وتساءلت فيم يفكر وأين يعتزم قضاء عطلة نهاية الأسبوع القادمة؟

٤ - جرثومة الشك

مرّ شهر منذ بدأت جين تعمل سكرتيرة لسكوت، وكانت أصعب فترة عرفتها في حياتها. لقد أثبت سكوت أنه أقسى وأعنف رئيس عمل يبحث عن أخطاء، وكلماته مثل لسانه في بعض الأحيان، أشبه بسوط يلسع بطريقة لاتحتمل. وفي مرة قالت لأخيها ليس:

«لا أستطيع الاستمرار»

ولكنها ندمت على كلماتها في الحال، ثم أثار قلقه فسألها:

«هل من الصعب جداً العمل معه؟»

«العمل معه؟ إن سكوت لا يسمح لي لحظة واحدة أن أنسى أنه رئيسي.»

«لا أعرف لماذا يتصرف على هذا النحو معي وبدون سبب، جعله يبدو كما تعرفين. وهو يبدي لي أيضاً اهتمامه بعينه»

ونظر اليها بفضول ثم قال أخيراً وهو يومىء برأسه متفهماً:

«لا بد أن السبب أنت! انه يتعمد أن يكون عنيداً عنيفاً.»

«ومع ذلك يبدو هذا الاحتمال بعيداً لأن مثل هذا السلوك الدنيء الصغير يتناقض تماماً مع شخصيته الرائعة.»

«اذا أردت التخلي عن كل شيء، فلا تفكري فيّ ياجين. أرجوك. اتركي العمل اذا شئت وسوف نعود الى انكلترا.»

«انني احب العمل هنا وسوف أبقى»

وكان واضحاً أن ليس شعر بالارتياح، وجين تعرف أنها لا تستطيع التصرف بطريقة تؤدي الى فقدان وظيفته. يجب أن تتحمل كل تصرفات سكوت آملة أن يلين مع الوقت، وهي بالتأكيد تحاول انجاز الأعمال بطريقة صحيحة، ومع ذلك بدا أنه مصمم على ايجاد خطأ، حتى أصبح لديها انطباع بأنه يريد جعلها تشعر دائماً بمضايقة، وبأنه رئيسها في العمل، وأوامره يجب تنفيذها بالحرف الواحد. ومع ذلك كانت في بعض الأحيان تتصور أنها تسمع صورة الرجل الذي عرفته من قبل. الرجل اللطيف الحنون... الذي لم تعتبره في ذلك الوقت جذاباً كي تتزوجه، والآن بدلاً من مخلوقة متقلبة، هذه امرأة تتمنى فعل أي شيء حتى تسمع الكلمات الحانية وترى ذلك الضوء الناعم يدخل العينين الزرقاوين العميقتين... ماذا كانت تعني هذه التمنيات؟ وأزاحت جين الأمل المستمر الذي لم يكن أكثر من مجرد ومضة، لكنها في أعماق ذهنها كانت خائفة على نحو فظيع. وكانت غالباً ما تتذكر إحساسها بأنها وقعت في فخ.

«جين!»

انطلقت الكلمة... وهبت واقفة... كانت تجلس أمام آلتها الكاتبة مستغرقة تماماً في أفكارها، ولم تسمع حتى صوت سكوت وهو يدخل غرفتها.

«توقعت ذلك التقرير منذ مدة طويلة... ماذا كنت تفعلين؟»

«آسفة.. كنت أنتهي منه»

ونظر اليها بحسم، ولاحظ الدم يتدفق الى وجهها... وقال وهو يخرج من الغرفة ويغلق الباب وراءه:

«أحضريه لي فوراً عندما تنتهين منه..»

وبعد حوالي عشرين دقيقة، انتصبت جين ثانية وهي تقدم له التقرير:

«آسفة لأنني استغرقت وقتاً طويلاً. أرجو أن تجده صحيحاً..»

وتفقده سكوت منها وعيناه مركزتان على وجهها وقال:

ماذا أيضاً أرجو ذلك، لأنه إذا لم يكن صحيحاً أن يلحق بالبريد...

وبدت نبرة تهديد في كلماته وفي تعبيره الحاد... وتمنت جين صلاة صغيرة شرطها أن تستجيب. فقد كان التقرير صحيحاً حتى أن سكوت لم يجد فيه أقل غلط!

وعندما أعاد سكوت قراءته وطلب منها إعطاءه لترسله في البريد سألته:

ماذا سأعمل بعد ذلك؟

بإمكانك الانصراف كي تستطيعين أخذ أجازة غداً لأنني سأرحل ولن أعود قبل يوم الاثنين.

شكراً.

وغادرت غرفة مكتبه وهي تحس بشعور قريب من الكآبة... وفكرت بأيام العطل وأن لسكوت صديقة في سان فنسان حيث كان يقيم من قبل، وحيث يقضي عطلات نهاية الأسبوع هنا... لقد ذكر سان فنسان في مكالمة تليفونية في أحد الأيام عندما صادف أن كان يتحدث مع شخص، ورغم أن جين قد طرقت الباب ودخلت غرفته وغادرتها ثانية في الحال. فقد سمعت ما يكفي لإثبات الحقيقة بأنه كان يذهب إلى سان فنسان لقضاء عطلات نهاية الأسبوع كأجازة من أمور العمل... فلذا تفترض أن له صديقة؟ لم تكن متأكدة ولكنه هو الذي أدلى بتلك الملاحظات حول المرح الآخر، وافترضت أن هذا يكفي لغرس أول جرثومة من الشك في ذهنها.

هل كانت غيرة؟ هكذا سألت نفسها مرة أخرى كما فعلت في ذلك الصباح عندما سارا سوياً على الشاطئ الخاص بفندق الكورال غيتز وكما حدث في تلك المناسبة، أتت الرد متأكدة أن سكوت لايمكنه مبادلتها حبها حتى إذا علم أنها ليست متزوجة؛ ومع ذلك كان ذلك الوميض من الأمل في عقلها الباطن يزداد كل يوم ويحيي أكثر وأكثر... واستحوذ عليها على مر الوقت... وعندما انقضى أول شهرين وهي تعمل سكرتيرة لسكوت، لم تعد قادرة على إنكاره.

رفضها في الهيبة، أيقنت أنها تحب سكوت بدون أي شك. أما شعور اليأس الذي سيطر عليها فقد زاد مرارة بسبب معرفتها أنه كان يمكن أن يكون زوجها... لو أنها وافقت منذ أربع سنوات.

ولكن ليس الآن... إنه لايهتم بها إطلاقاً كامرأة. لعدم اهتمامه بشخصها مثل سن السيف الحاد... وكانت النتيجة أنها أصبحت متحفظة في سلوكها بعدما تدهورت علاقتها بالتدريج لدرجة أنها أصبحت خائفة بأنه سوف يستغني عن خدمتها كسكرتيرة قريباً، ويدعها تستأنف أعمالها في الفندق ولكنه استمر ومرة أخرى تأكدت أنه يريدها أن تشعر بوضعها كموظفة عنده.

وفي الليلة التي سبقت حفل الشواء الذي أعده ليس، جاء سكوت إلى فندق كورال غيتز وتناول العشاء هناك مع فتاة طويلة سمراء بدت في عيني جين الناقدتين متكلفة ومغرورة، وعندما قدمها سكوت قائلاً إنها ألما بونسرول، بدا واضحاً أنه مهتم برد فعل جين.

وتغلبت على الهيبة الصعبة بكبرياء، ولكن أنها كلا صعباً. كانت قهوية بطريقة بدائية، وكرهت الفتاة منذ اللحظة التي رأتها فيها.

هل تجدين لنا ركناً منعزلاً يا جين؟

إن الأمر الذي نطقه بنبرة جامدة أثار نظرة قلقة، عندئذ لاحت بسمة خفيفة على فم سكوت، يبدو مسروراً راضياً عن نفسه بخصوص شيء ما. وقالت له ببرود

هذا أفضل مكان نستطيع تقديمه، لو أنك اتصلت تليفونياً لحجز مائدة، لوجدنا لك مكاناً هناك... بين النخيل.

هذا مكان جيد، شكراً.

ثم شد كرسياً لتجلس عليه ألما التي أخذت تحدق بإلحاح في وجه جين، ولمدة ثانية واحدة التقت عينا جين بعيني الفتاة السمراوين ثم قالت لسكوت

سأطلب لك قائمة الطعام يا سكوت، وقائمة الشراب.

وبينما غادرت القاعة سمعت «آلان» يقول:

«سكوت؛ أظن أنك قلت إنها موظفة عندك»

وسأل «ليس» فور جلوسه مع «جين» حول مائدتها:

«هل حدث شيء؟ تبدين غاضبة»

«إنك تتخيل..»

«لا أعرف. لاتبدين طبيعية»

ثم قال بعد لحظة:

«لقد حصل «سكوت» على لحظات سعيدة لاشك. ترى هل هي صديقة دائمة له؟»

وردت «جين» بسرعة:

«بالطبع لا»

واتسعت عينا أخيها وقال:

«هكذا!»

واحمر وجهها وقالت:

«هكذا.. ماذا؟»

«معنى هذا أنك لاتهتمين بأنه صاحب فتاة»

«إنني لا أعير صحبته ذرة من الاهتمام. إن «سكوت» كغزل لايعني شيئاً لي»

«أرجو أن تكوني متأكدة ياجين»

«طبعاً أنا متأكدة»

ولم يلبث أن انضم إليهما الكابتن والسيدة «ريش» وعندئذ أصبح الحديث خفيفاً مسلياً.

ورقص الكابتن مع «جين» كان طويلاً يعلوه شعر أبيض كثيف وشارب كبير. وعندما التقت عينا «جين» بنظرة «سكوت» وهو يرقص مع رفيقته الفاتنة، لحظت هذا التعبير الساخر في عينيه، وأشاحت بوجهها في الحال. وتساءلت ماذا

يحاول أن يفعل بها؟ واتضح لها شك في أنه سينتقم لما فعلته له منذ فترة طويلة، ثم قررت أن مثل هذا العمل أحقر من أن يحققه رجل مثل «سكوت».. ومع ذلك كان يبدو بالتأكيد أن شيئاً ما في ذهنه، وكلما زاد تفكير «جين» في هذا الاحتمال كلما زاد اقتناعها.

وكما كانت تتوقع، حانت اللحظة عندما طلب منها أن ترقص معه. ونهضت بجمود وواجهته بابتسامة صفراء باردة، وعندما ابتعدا عن المائدة قال لها:

«لاتبدين سعيدة هذا المساء ياجين. هل حدث شيء؟»

«إنني على مايرام. أشكرك»

«من الواضح أنك غاضبة»

وومضت العينان الزرقاوان بتسلية كثير الغيظ. وشعرت «جين» لو كان في استطاعتها قول شيء تمسح به هذا التعبير عن وجهه. ولكن من سوء الحظ أنه لم يخطر على بالها شيء مناسب. وقالت:

«ما كان يجب أن تترك صديقتك»

«لم أفعل. كنت أظن أنك تلاحظين أكثر لقد التفت «آلان» بصديقتي القديمة، وهو يرقص معها الآن»

وعند «سكوت» الاقتراب بـ«جين» إلى حيث كانت الفتاة ترقص مع رفيقها، ثم أضاف:

«وهكذا ستعرفين أنني مهما اتخذت من صفات، فإن أخلاقي لاينقصها شيء»

«إن التهكم هو أحط سمة من الدعابة»

«والعبارات البالية هي أساليب الشخص البليد»

واحمر وجه «جين»..

«يجب ألا تحاول الدخول معي في جدال. فليست لديك خبرة كافية في هذا الفن»

هكذا أضاف عندما ظلت صامتة وهي تحاول التغلب على شعورها بالضيق:

«يالك من متعجرف، وواثق جداً من نفسك»

ثم يمضي:

«جين.. حاولي التذكر أنني رئيسك في العمل»

«تذكرني»

وضحك سكوت:

«مزاجك سيء جداً هذه الليلة. سوف أعاملك فيما بعد»

«أنت»

هكذا قالت عندما سمعت تحذيره الرقيق، وبرمقته بنظرة دهشة وهي تحدق بعيداً، وأمالها سكوت حتى يمنعها من الاصطدام بشخص داست على قدمه وشعرت بالحرج محاولة أن تبتعد ولكنه أبقاها حيث كانت. وقال وهو قريب من أذنها:

«حسناً يا جين كنت على وشك أن تبدي تعليقاً»

وبلعت ريقها، واشتدت عصبيتها داست على قدمه مرة أخرى! وقالت بحدة:

«معذرة أرجوك. ما الذي تقصده»

«أرقص معك. ولكن يبدو أنك فقدت مهارتك فجأة»

وبدت نبرة التهكم الساخرة في صوته و الوميض الكريه في عينيه. واشتد غضب جين. لم تكن واثقة من أنها تستطيع الكلام خشية أن ترفع صوتها، ولذلك تبعته أينما قادها وآثرت أن تلزم الصمت. وبعد فترة جاء السؤال المتوقع:

«هل فقدت لسانك أيضاً؟»

عندئذ جذبت نفسها من ذلك العناق وقالت:

«أخبرني، هل تستمتع بكل هذه التعليقات المثيرة التي توجهها؟»

«هل تسعدين إذا قلت لك أنني استمتع بكل لحظة أقضيها معك»

ورفع إليها ثم غاص ثانية. كان الرجل يلعب بها. هذا ما يجب أن تتذكره دائماً. وقالت:

«أنا لا أصدقك»

«وأنا تعيس»

واستقرت عيناه الرماديتان على وجهها وبدت فيهما سخرية قاتلة.

«يبدو أنك تنسى أنني متزوجة»

ظنت أن هذا سيضع نهاية لكل شيء، ولكنها كانت مخطئة وقال بعد أن تغير صوته على نحو غريب:

«متزوجة؟ أوه... نعم. أنني أعترف بذلك الآن. نسيت»

ثم نظر إليها ملياً وأضاف:

«لا تبدين على الإطلاق امرأة متزوجة»

وبالى نظرة تنم عن الدهشة، وأصبحت العينان الفضيتان مجرد شرختين وقال:

«أذكر أختي عندما تزوجت، كانت تنظر إلى زوجها نظرة عاشقة وهو يمس ذراعه في ذراعها بحركة تنم عن الإخلاص والحب. وتناديه حبيبي بصرف النظر عمن يكون معهما»

وتابع يقول:

«لقد تغيرت الأحوال على ما أعتقد، ولم يعد الناس يكشفون عن مشاعرهم الآن، ومع ذلك لابد أنك تحبين زوجك. أنا واثق من هذا»

ثم قال:

«نعم تحبينه جداً. كما أن زوجك يحبك أيضاً، رغم أنه كذلك لا يظهر مشاعره»

فقالت جين:

«لا يخطر لنا أن نتبادل القبلات والعناق أمام الناس»

ودوت ضحكة سكوت مجلجلة، وقال موافقاً:

«أنك على حق تماماً»

ثم قادها إلى مائدتها عندما توقفت الموسيقى، وقال وهو يرفع حاجبيه:

«أشكرك يا جين. سوف أراك فيما بعد. هل تتذكرين؟ لقد وعدت أن أفعل شيئاً يعيد إليك مرحك»

قال العبارة الأخيرة هامساً ثم انصرف ليلحق برفيقته الجميلة.

ترى ما الذي كان يقصده؟

ووفى بوعده وجاء اليها بعد العشاء بفترة طويلة. عندما كان الضيوف في الشرفة يستمعون الى المطربين والفرقة النحاسية. كانت الاضاءة الخافتة والهواء المنعش يزيد من بهاء المشهد الاستوائي. والليل الهادئ المتلألئ بالنجوم شيئاً ساحراً لا يوجد إلا في جزر البحر الكاريبي. وجلست جين مع أخيها لفترة اذ كان الكابتن وزوجته قد ذهبا للسير قليلاً على الشاطئ.

وقال ليس:

«ها هو سكوت قادم»

وقال سكوت بأدب:

«سيد كرتيس، هل يزعجك أن آخذ زوجتك عدة دقائق؟»

«بالطبع لا»

ولم يلبث أن اضاف:

«أين ستأخذها؟»

«لنسير قليلاً فقط

رائع، انا وانت... زوجتي»

وتوقف ليس. نظرت جين الى سكوت، وكان وجهه أشبه بقناع لايمكن قراءته.

وسحبت جين نفساً عميقاً. الواقع أن ليس سوف يكشف عن الوضع كله في يوم من الأيام. لقد وافق مجبراً على أن يأخذها منه رجل آخر، وملقا عن سكوت؛ كان سلوكه غريباً جداً. وتذكرت جين لو أنه أظهر شيئاً من اللباقة على الأقل. لم يبد عليه أنه يرى أي عيب عندما يسأل زوجها اذا كان باستطاعته التنزه معها قليلاً.

وسألها سكوت:

«هل تمانعين؟»

ولم يكن لديها بديل آخر فقالت نعم ونهضت من مقعدها.

«وماذا حدث لألان؟»

سألته عندما غادرا الشرفة. وأمسك سكوت مرفقها بطريقة مسيطرة:

«واحسرتاه، لقد هجرتني وذهبت الى آخر»

وتوقفت جين واستدارت قائلة وهي تنظر اليه في شك:

«يوجد شيء لا أفهمه. اذا كانت ألان صديقتك، فلماذا لاتجلس معها؟ ألا يهمك أنها مع صديقها القديم؟»

«يهمني؟ لا. فلماذا أهتم؟ انه مجتمع متسامح على ما تذكرين؛ انها تنتقل من واحد الى آخر»

وابتلعت ريقها بصعوبة وهي تشعر بالألم والندم والذنب لأنها هي نفسها أحدثت فيه هذا التغيير.

«الى أين نذهب؟»

وأجاب وهو يسحبها:

«الى الممرات الثانية في القلعة. الى الظلام وسرية الحديقة الاستوائية حيث سنجد بقعة هادئة و... نتكلم»

وتوقفت ثانية، ولكن سكوت قبض على ذراعها بشدة واتجه بها نحو الظلام بعيداً عن الأضواء والموسيقى والضحك وثرثرة الضيوف في كراسي خيزران.

«لا أريد أن... أتكلم»

«اذن لن نتكلم. سنتبادل الغرام بدلاً من هذا»

وبلغ من دهشتها حتى كادت تصرخ. ان هذا الرجل ليس سكوت الذي عرفته. لايمكن أن يتغير شخص الى هذا الحد ويقبل أن تستوعب نفسه. كانت بين ذراعيه. وربما حاولت أن تفلت منه وتدفقت الدموع الى عينيها وهي تتذكر الرقة السابقة في عناق سكوت. كم كان حنوناً، ولكنه الآن السيد المسيطر الذي

يتحكم تماماً في الوضع ويحسم أن يشعرها بقوته.

«دعني أذهب. أقول لك دعني أذهب. انك تنسى ثانية أنني متزوجة»

وأطلق ضحكة قصيرة، وأخذ كفها في يده ورفعها على الفور إلى أعلى.

«متزوجة؟»

«بالطبع»

«كاذبة! ولأنك لاتعرفين لايوجد سبب يجعلنا لانقنع أنفسنا».

«ولا بد أنك تعرف أن تلك الفتاة آنذاك لا بد أن تكون من ذلك النوع. ولكني لست كذلك»

وانقدت عيناها وخبطت بقدمها بشدة على الأرض وقالت:

«ألا تتركني أذهب، سأصرخ»

«لن تصرخي، عانقيني مرة أخرى»

«مرة أخرى؟ انني لم أعانقك إطلاقاً حتى الآن»

«آه، ولكنك فعلت مرات كثيرة، على مدى وقت طويل على السنوات الأربع الماضية حتى ضعفت ذاكرتك»

«دعني أذهب. عد بي يا سكوت. أرجوك»

قالت ذلك وهي تشعر بجسمها مسحوقاً من شدة قبضته.

«هل تريدين حقاً العودة؟»

«بكل تأكيد أريد العودة»

ومرة أخرى ضمها إليه بقسوة وسألها هامسة

«هل أنت متأكدة؟»

وفي هذه المرة وجدت أنها لاتستطيع الرد. وشعرت أن كل قوتها تتخلل تحت سيطرته. هذا ما أرادته! هل هذه هي السيطرة التي كانت تطلبها في الرجل الذي تقبله زوجاً؟ لا. وعجباً بددت ما بقي من قوتها وقال وكأنه يقرأ أفكارها:

«من الأفضل أن تستسلمي لي السيد باجيه، وبصرف النظر عن ارادتي».

شعرت جين بالهزيمة. تراه أن يثبت لها أنه قوي يستطيع قهرها وأخيراً قالت بعد أن منحها فرصة للكلام:

«لقد تغيرت كثيراً يا سكوت»

مرة أخرى لم تبد عليه ذرة من الشعور بالذنب أو في عينيه ومضة من الاعتذار أو الندم وهو ينظر إليها في الضوء الخافت.

«بالطبع تغيرت وأرجو أن يكون للأفضل. ألم تستمتعي بسيطرتي عليك؟»

كان استفزازها أقوى من أن يدعها تتكلم. فلاذت جين بالصمت. وبعد فترة قصيرة رأت وجهه يلين ببطء. وابتسامة باهتة تلمس حدقتيه الصلبة وذكرها بحقيقة أنها لم ترد على سؤاله فقالت:

«لا. لم أستمتع بسيطرتك علي...»

«جين. أيتها الكاذبة الصغيرة»

هكذا أجابها بنعومة، ولمس جبهتها بأصابع حانية. ثم قال:

«كنت خائفة. أعرف. ولكنك استمتعت بها في قرارة نفسك»

وعندما قاطعته قائلة: لا، أجابه:

«لا تكذبي ثانية. انك في العادة لاتكذبين»

وتساءلت: ترى ما الذي يظنه سكوت بشأنها؟ هل استنتج أنها هي أيضاً كانت واحدة من اللواتي يتنقلن من شخص الى آخر؟ وألقتها الفكرة كثيراً وذكرتها بأن لها زوجاً فأضافت:

«انك... انا... يجب الآن...»

ثم سكتت حائرة أمام تعبير وجهه.

«هل تشعرين بالذنب؟»

ان المرة الرقيقة حلت عليها نوبة سافرة وشعرت جين بكل جسمها يتهاوى.

ما الذي يفعله بها هذا الرجل؟ قال:

«بالطبع يا جين. ألا تعتقدين أنه فات الأوان للندم وتأنيب الضمير؟ إننا سنشعر

بالمرح مع بعضنا، وزوجك سوف يجد متعة مع امرأة أخرى»

وحدقت به، وكان فمها يرتجف، وعرفت تماماً أن «سكوت» ندم على لحظة الرقة. وكانت الرقة جزءاً من نفسه القديمة التي أراد ازاحتها بعيداً وإلى الأبد. وغامت عيناها بالدموع، ولم تدرك إلا الآن فقط مدى ما فقدته.

وقالت متوسلة بنبرة يائسة:

«هل تعود بي الآن أرجوك يا سكوت»

«قلت أنني سأعيدك على أن تخضعي لارادتي»

قال ذلك برنة غريبة في صوته، ونظرة عجيبة أيضاً في عينيه:

«أرجو ألا تكون قصدت هذا»

«أن نجد متعة مع بعضنا»

«من السخف حتى اقتراح شيء مثل هذا»

«لأنك متزوجة»

«ليس هذا فقط، لست من نوع الفتيات التي تظنه»

ومرت لحظة صمت قصيرة ثم قال ساخراً:

«أنك فتاة من الطراز القديم. هل هذا ما تريدين قوله لي؟»

ورفعت عينيها الدامعتين إلى عينيه وقالت:

«لعلك لا تصدقني لأنك تسخر من النساء وتحتقرهن، ولكنني فتاة من الطراز القديم كما يحلو لك تسميته»

وأطلق ضحكة ساخرة وقال:

«لم يبق في العالم فتيات من الطراز القديم يا عزيزتي»

«هل تجد متعة في هذا؟ في أن تكون بلا مثل عليا؟»

وتألقت العينان الزرقاوان وقال:

«قلت مرة أن التجربة تولد السخرية، وهي أيضاً تنزع الرجل من مثله العليا. ويبدو لي أنك التقيت بالنماذج السيئة من النساء»

«انهن نموذج واحد أساساً»

«هذا هراء»

«فليكن. يوجد نموذج واحد أو نموذجان، ولكنهن جميعاً فروع من شجرة واحدة. هناك المرأة التي تريد رفقاً طيباً وتهدف إلى الثراء السريع وهناك المرأة التي تريد اضافة الشرعية على انحلالها لتلقي بشباكها واسعة لتجد زوجاً ثرياً.»

وصاحت

«كلا، انني أكرهك عندما تتحدث بهذه الطريقة»

«تكرهينني! هل لديك عواطف قوية تكفي للكره؟»

واستمر يقول بنعومة:

«تذكري يا عزيزتي أنك متزوجة وأية عواطف قوية يجب الاحتفاظ بها لزوجك»

«ومع ذلك اقترحت منذ لحظات قليلة أن نمرح مع بعضنا»

كان من الصعب عليها قول هذا ولكنها ما أن بدأت حتى لم تعد تستطيع قطع كلماتها. وأجاب:

«هل تحتاج إلى عواطف قوية لذلك؟»

ومرة أخرى صاحت غاضبة وقد ضمت قبضتيها:

«كلا! لن أستمع. عد بي للدار»

«يبدو أنك في مزاج سيء، ولذلك سنعود»

ولكنه جذبها إليه وانحنى ليقبلها، وفي هذه المرة كانت هناك لمسة من الرقة اختلطت بسيطرته. لمسة من الاقناع قاومتها ولكن بصعوبة. ثم مر بأصابعه على وجهها.

«مرة أخرى أقول انني واثق أن مزاجك سيتغير»

«لن يتغير إطلاقاً. انك تنسى دائماً أنني متزوجة»

ومرة أخرى أطلق الضحكة الجافة وقال:

«كلانا ننسى أنك متزوجة»

وأزعجها نبرة صوته.

«سكوت!»

هكذا بدأت وهي ترتجف، ولكنها لم ترد على ذلك لأنه قاطعها وأخذ يتكلم ببطء ولمحة من التسلية في صوته.

«نعم يا جون، وأنا أعرف. لست بدون ذكاء. إن ليس...»

وارتفع الحاجبان المستقيمان وأضاءت العينان الزرقاوان واستطرد:

«هل أستنتج أن وجهك يحمر خجلاً وهي ليست حمرة جريمة، إنها حمرة الغضب. لا أريد أن أزيد من حرجك!»

«منذ متى عرفت؟»

«منذ البداية طبعاً. لقد زل لسانك عدة مرات. ترددت مثلاً قبل أن تقولي زوجي، ولكن الغرفة بالطبع هي التي جعلتني أفكر حتى قبل أن ألتقي بك لأول مرة في ذلك اليوم»

«الغرفة!»

«لقد التقطت الكتيب من المكتب فور وصولي. كانت موظفة الاستقبال غير موجودة ولم يكن هناك أحد. ولاحظت أن تلك الغرفة رقم ١٧ المجاورة لغرفة المدير وزوجته لم يشغلها ضيف طوال الأسبوع الماضي. والمفروض أن يكون الفندق كاملاً. وقد أعطيت الغرفة الوحيدة الموجودة. وعندما كنت خارجاً من الفندق بعد فترة وجيزة، سمعت موظفة الاستقبال تعتذر لرجل عن عدم وجود غرفة. ومع ذلك كانت الغرفة رقم ١٧ غير مشغولة. أو هكذا بدت من السجل. وبحثت وقبل أن أجد وقتاً لمقابلة المدير، التقيت بك!»

ومد سكوت يديه واستطرد قائلاً:

«وفهمت كل شيء. لست ماهرة جداً يا جون. كان لابد أن يكتشف شخص ما في وقت ما أن الغرفة رقم ١٧ لم تخصص إطلاقاً لأي ضيف. إن ... يأتي إلى هنا من حين إلى حين، وكان سيلاحظ هذا الوضع الغريب»

وشحب وجه جون بينما كان يتكلم ووضعت يداً مرتجفة على فم سكوت بدون أن تشعر

«أرجوك... لا تفصل... تشفق»

«لن أفضحك إذا عاملتني بالاحترام اللائق بي. وإذا فعلت ما يطلب منك. كما قلت، يجب أن نمرح مع بعضنا البعض»

وعاد اللون الطبيعي إلى خديها وصاحت:

«أنت حقير!»

وهز أصبعه الأسمر الطويل قريباً من وجهها وقال:

«الاحترام الذي ذكرته. تذكريه وإلا...»

٥ ـ اعتراف خلف الشجرة

ظلت جين مستيقظة مدة ساعات بعد أن أوت إلى فراشها. وظل التغيير الذي لاحظته في شخصية سكوت يشغل تفكيرها مدة طويلة. وبعد ذلك فكرت في آلا وكيف قبل سكوت بسهولة أن يكون لها صديق آخر في جانبها. وراجعت بالتفصيل مشهد الجدل الساخن، واحمر وجهها خجلاً في الظلام، عندما تذكرت الأشياء التي قالها سكوت لها. وأخيراً فكرت في قوله مؤكداً أنهما سيجدان متعة في صحبة بعضهما البعض، وكرر هذا قبل أن يتركها. ورغم أنها انقلبت عليه غاضبة إلا أنه ضحك فقط وتنبأ بأنها ستغير رأيها في النهاية. كانت كلماته الأخيرة:

«ولا تقولي لأخيك أنني أعرف شيئاً عن الخداع. ليس من مصلحته أن يعرف هذا.. هل فهمت؟»

«ولكن...»

«هل فهمت؟»

فأومأت برأسها وتركته. واعترفت بعد قليل أنه من الأفضل لأخيها أن يظل على جهله على الأقل في الوقت الحاضر. كانت جين تعرفه جيداً، ورغم أنه شريك في عملية الخداع هذه، إلا أنها كانت تعرف تماماً أن كشف خداعه سيؤثر عليه بطريقة تجعله ينتقل من وظيفته بلا شك... و سكوت ذكر من قبل أن

ليس سيكون دعامة كبيرة للشركة، وهكذا يجوز أن هذا هو السبب في أنه رفض السماح لجين بإخبار ليس بالحقيقة.

كان أول ضوء الفجر يتسلل عبر الستائر عندما نامت أخيراً... ولكنه وعندما قابلت أخاها حول مائدة الافطار لم تخف جين سؤالاً عما يهمها فأجابت:

«لا شيء... لم أنم جيداً هذا كل ما في الأمر»

وبادرها قائلاً:

«سكوت ظل معك لفترة طويلة.. وعندما عادت صديقته بدت وكأنها تبحث عنه»

«كنا في الحديقة نتحدث...»

«تتحدثان؟»

«نعم.. نتحدث فقط.»

«جين.. لست.. أقصد.. أنت وهو؟»

«ليس.. قلت لك إن سكوت لم يعد يهتم بي...»

«وأنت نفسك.. ما هو شعورك نحوه؟»

«كيف يشعر المرء عادة نحو صديق قديم؟ لقد افترقنا لأننا لم نكن متناسبين»

«ولكنه طلب منك أن تتزوجيه.. لا أستطيع أن أتصور سكوت كنفزل يذهب إلى هذا المدى إلا إذا كان واثقاً مما يفعله. كما أنه أيضاً لم يتزوج أبداً..
ألا يعني هذا شيئاً؟»

«لا يعني شيئاً ذا أهمية. إنه يفضل أن يقضي وقتاً طيباً مثل رجال كثيرين غيره»

«هل أنت متأكدة أنك راضية عن هذا الوضع؟ أعني أن يبدو أنه وأنت متزوجان؟»

«لست سعيدة.. كنت أعرف منذ البداية أنني أكره الخداع، ولكنني وافقت عليه أخيراً وأنا مستعدة لأن أتحمل قراري»

«هل كان في وسعك اختيار سكوت؟ إنك لست متزوجة لكن هذا قد يؤثر كثيراً على حياتك. إن الزواج من شخص مثله أمر يروق لنساء كثيرات جداً»

«إن سكوت لن يرغب إطلاقاً في أن يتزوجني، فلا حاجة بك لأن تقلقي يا أبي. والآن فلنترك هذا الموضوع أرجوك. هناك أشياء أخرى أكثر أهمية تحتاج إلى النقاش. هل أعددت كل شيء لحفل الشراب الليلة؟»

«تقريباً... ولكني سأكون مشغولاً طوال اليوم بالطبع. هل تعتقدين أن سكوت سيأتي؟»

«لن أدهش إذا جاء»

«إذن يجب أن يكون الحفل على أكمل وجه، وآمل أن تأتي أشياء كثيرة من هذه الوظيفة يا جين»

وبدت السعادة في عينيه، ثم استطرد قائلاً:

«سكوت يبدو ملموساً راضياً عما فعلته حتى الآن. لقد أبدى تعليقات عن هذه تقديرات أجريتها ويبدو واضحاً أنه منتبه إلى كل شيء. إن الشركة تلك تحقق أكثر من هذا وأتمنى أن أدير نشاطاً كبيراً معاً»

ولم تقل جين شيئاً. كان الوضع كما تصورته تماماً.. لابد أن تحتفظ بالسر وإلا فسينهار مستقبل أخيها.

بعد نصف ساعة كانت في طريقها إلى منزل دربنفورد، وأفكارها تنتقل في كل الاتجاهات ولكنها تعود دائماً إلى اللحظة التي تكون فيها وجهاً لوجه مع مخدومها. ترى كيف سيكون رد فعله حين رؤيتها في ضوء الصباح البارد؟

وكما كانت شكوكها تماماً حياها سكوت بتلك النظرة الساخرة مستمتعاً بشعورها بالاضطهاد ولم تغادر عيناه وجهها الذي احمر:

«صباحاً... كيف نحن هذا الصباح؟»

«أنا بخير... أشكرك»

وبعد لحظة قال:

«واضح أنك لم تنامي جيداً.. هل كنت تفكرين بي؟»

«لدي أشياء أخرى أكثر أهمية تحتاج إلى تفكيري»

«مثل ماذا؟»

كانت جين في غرفة مكتبه فسألته عما يجب أن تعمله، وذكرته قائلة:

«قلت إن هناك تقريراً لأكتبه على الآلة الكاتبة»

«لا تنهي هذا السلوك معي. إنك تعملين عندي، وقد طلبتك حتى تذكري هذا»

«أود أن أجعل كل شيء على مستوى علاقة عمل. إنني أعمل عندك، كما تقول، كسكرتيرة لك، ويجب أن تبدأ وتنتهي علاقتنا على هذا المستوى»

«مستوى العمل؟ لعلك على حق يا جين.. سنرى»

وأصبح جامداً فوراً، وأصدر لها أوامر اليوم وقالت بطريقة آلية:

«هل أكتب التقرير على الآلة الكاتبة أولاً؟»

بالطريقة الآلية نفسها وصلت إلى الباب وفتحته وخرجت، ولم يحدث وقع أقدامها صوتاً فوق السجادة السميكة. وأغلقت الباب وسارت في الردهة نحو غرفتها، ووضعت التقرير فوق مكتبها وجلست أمام الآلة الكاتبة، وببطء أزالت غطاء الآلة وشرعت بالضرب على أصابعها. مستوى عمل؟ كان هذا آخر شيء تريده... ومع ذلك طلبته، وقد وافق سكوت بنصف موافقة وأبدى عدم اهتمام. ومع ذلك كان في الليلة الماضية مصراً على أن يجد كل منهما متعة مع الآخر على حد تعبيره. إنه لا يغير رأيه عادة. كانت مثلها العليا تعني الكثير لها، ولم يكن لديها نية لأن تسمح لسكوت أو أي رجل آخر أن يسلبها هذه المثل.. وهمست بعنف:

«لن أكون امرأته، مهما كان شعوري نحوه»

وفي وقت لاحق من اليوم نفسه أعادت التقرير إلى سكوت بعد أن كتبته على الآلة الكاتبة، والتقت عيناهما لحظة وهي تضعه على مكتبه، وأخذه وأزاح

الغلاف، ونظر إلى الصفحة الأولى وهو يفكر ويقطب جبينه، وشعرت جين بنبضها يسرع وهي تراقب تعبير وجهه المتغير أثناء مراجعته الصفحات، وقال لها بصوت حاد:

«لقد تركت شيئاً في الصفحة الأولى»

وعندما راجع التقرير عاد يقول مرة أخرى:

«نعم، وهكذا ستكون كل أرقام الصفحات خطأ»

«أنا تركت شيئاً؟»

وعضت جين شفتها السفلى في قلق، إنها لم تكن مركزة على عملها طوال الصباح، ولكن لم يخطر لها أنها ارتكبت غلطة كهذه، فقالت:

«سأذهب وأحضر نسختك الأصلية»

وألقى إليها بالتقرير فالتقطته.

«يبدو لي أن صفحة كاملة من نسختي مفقودة»

«لا يبدو أن هناك أية كلمة مفقودة»

«جين.. أنا أقول إن شيئاً ما مفقود، فلا تتحديني وتجادلي. اذهبي وأحضري نسختي»

«نعم...»

كانت قد تركت التقرير على مكتبه، وغادرت الغرفة وهي منفعلة وبعد دقائق قليلة عادت تقول:

«إنك على صواب، لقد تركت صفحة كاملة»

«سيتعين عليك أن تكتبي التقرير كله مرة أخرى»

وامتنعت عن الجدل عند أدركت فوراً أنها ستتلقى السياط من لسانه لو أنها عارضته كما فعلت مرة من قبل... ولكنها لم تكن تنوي إعادة كتابة التقرير كله.. كانت تستطيع بسهولة أن تنسخ الأوراق، وتعيد ترقيم كل صفحة، وهذا هو ما فعلته بعد أن أضافت الصفحة الناقصة، وما كانت تقدم التقرير حتى تحدث

على عدم إطاعتها أوامره. لقد نظر إليها بعينين ضيقتين حانقتين وقال وهو يخبط على التقرير بأصبعه:

«أعتقد أنني طلبت منك إعادة كتابة كل هذا. أرجو أن تفسري لي لماذا لم تعملي كما أمرتك»

«لم... لم يكن من الضروري أن أكتبه كله ثانية. لقد أعدت ترقيم الصفحات بطريقة نظيفة»

فاطمها بخبطة شديدة على المكتب، فقفزت من مكانها وقالت:

«أنا آسفة»

«عندما أعطي تعليمات أتوقع تنفيذها»

ثم أضاف:

«اكتبيه ثانية اليوم»

ونظرت إلى الساعة بطريقة آلية، وبعثت حركتها وميضاً في العينين الزرقاوين الجامدتين

«نعم... اليوم»

كان من المضحك حقاً أن يأمر بإعادة كتابة التقرير كله. هكذا فكرت وقد اشتد حنقها وهي تنظر إليه، ولكنها لم تجهل السبب لهذا الأمر مرة أخرى كان يريد إشعارها بأنه هو السيد وأنها مجرد موظفة عنده.

كانت مجهدة جداً عندما انتهت من عملها أخيراً، لم يكن سكوت في غرفته فتركت التقرير على مكتبه وعادت إلى [illegible]

وعندما التفتت لترى ليس قالت:

«آسفة لأنني لم أكن هنا حتى أساعدك. أرجو أن تكون قد أعددت كل شيء»

«نعم إن عندي هيئة موظفين ممتحنة هنا»

«أعتقد أنه يجب علي أن أستعد»

«سأراك فيما بعد»

ثم صعدت الى غرفتها.. وكانت تتساءل الى متى تستطيع ان تحتمل سلوك سكوت الغريب!

وكانت جين مكتئبة وتشعر بالارهاق من قلة النوم، حتى كادت أن تترك حفل الشواء، وتصعد الى غرفتها. فابتعدت من حشد الضيوف الذين كانوا يقفون ويتحدثون تحت النخيل، وهم يحملون أطباق الطعام التي يعدها أهالي الجزيرة على النيران التي أشعلوها على الشاطىء.. وفكرت أن استراحة قصيرة قد تنعشها، ووجدت ركناً هادئاً من الحديقة بعيداً عن وهج الأضواء التي تنير الأعشاب والأحراش، وهناك وجدت مقعداً خشبياً تحت شجرة جميلة فجلست وأسندت رأسها على جذعها وزلت بعض الأصوات الى أذنيها، وتراجعت بعيداً عن الممر.

«أعتقد أنه يتعين عليّ ازاء كل ذلك يامرغريت، لايمكن أن أبقى تحت الظروف الراهنة»

كانت المتحدثة هي جوين موظفة الاستقبال الشابة التي حضرت الى الفندق بعد أسبوع من وصول جين ولس، كان لس قد عينها واختارها من بين ستة أفراد بعد أن قدمت السيدة بيكريل، موظفة الاستقبال الرئيسية، اخطارها بالرحيل.

«كنت حمقاء جداً يا جوين»

هكذا قالت مرغريت وفي صوتها نبرة من التعاطف، وأضافت قائلة:

«انها مسألة مؤلمة جداً.. عندما تحبين رجلاً لايمكن أن تتزوجيه، انني أعرف موقفك لقد حدث لي الشيء نفسه»

«كان متزوجاً؟»

«نعم.. وقررت أن أبتعد عن طريقه تماماً، انه الشيء الوحيد الذي يمكن عمله. ومع مرور الوقت تستطيعين التغلب على عواطفك. أما اذا بقيت فان الأمر قد يزداد سوءاً»

«لكنني ما أتيت الى هنا. في بعض الأحيان أتصور أنني لا أستطيع الرحيل.. لا

أستطيع الابتعاد عنه ولكن في أحيان أخرى أدرك أنه يجب علي أن أرحل»

وتوقفت لحظة ثم قالت:

«لا يبدو إطلاقاً أنهما يحبان بعضهما البعض»

«لا بد أنهما يحبان بعضهما فقد تزوجا منذ عدة شهور فقط كان يجب على السيد كورتيس أن يتزوج حتى يحصل على الوظيفة»

وتلاشى صوت مرغريت تدريجياً، بينما كانت الفتاتان تسيران بظليهما عن عيني جين سياج الأشجار الكثيفة.

وجلست جين ساكنة تماماً وقد صدمها ماسمعته. ان جوين تحب لس، وتعتقد أنه متزوج، لقد بدت من صوتها تعيسة جداً..

وانتشر شعور جين بالكآبة مثل غمامة تلفها، يالها من وضع مقلوب جوين فتاة رقيقة جداً، ورغم أن لس لم يكن مهتماً بها في الوقت الحاضر، إلا أنه قد يهتم بها فيما بعد اذا بقيت جوين في الفندق.

وهمست جين لنفسها شبكة الكذب، كيف أستطيع التخلص منها؟ ما كان يجب أن أفعل هذا إطلاقاً.

وأفلتت منها تنهيدة عميقة عندما نهضت وشقت طريقها الى الشاطىء، ان صورة أنا وهي تتعلق بذراع سكوت لم تفعل شيئاً لتساعدها على رفع روحها المعنوية، ولم تكن تحتاج إلا لأن يسعى اليها السيد برادفور حتى تصل الى حد البكاء، قال لها عندما رآها:

«آه.. هذه أنت ياعزيزتي السيدة كورتيس، كنت أبحث عنك طوال المساء ألا تأتين وتتناولين مشروباً معي؟»

وأومأت في إرهاق وقالت:

«طبعاً ياسيد برادفور»

وبينما يسيران عائدين الى الفندق سألته:

«هل تستمتع بحفل الشواء؟»

«جداً في الواقع الطعام ممتع ولكني افتقدتك، انني أحب صحبة الشباب، وخاصة الفتيات الصغيرات الجميلات»

كانا يضحكان عندما دخل سكوت وأقبل وسأل سكوت وهو يبتسم اذا كان يستطيع الانضمام اليهما، ورغم البرود الذي نشأ بينها وبين سكوت رمقته جين بنظرة امتنان ورد عليها بايماءة طفيفة من رأسه، وبعد دقائق قليلة همس في أذنها قائلاً:

«يبدو أنني أنقذك دائماً من العجائز، ماذا تفعلين لتربطي نفسك مع هؤلاء المتقدمين في السن؟»

«يبدو أن لي شيئاً يروق لهم»

وعندما هم بأن ينحني نحو أذن جين مرة أخرى قالت آلا ضاحكة.

«سكوت، حبيبي، لماذا تهمس؟ هل تخططان، أنت والسيدة كرتس، لسر؟»

«كيف خمنت؟ الرائع أن بيننا سراً»

«انني أريد الاشتراك فيه»

«طالبين يا آلا! لا أعتقد أنك تعرفينني الى درجة تجعلك تستعملين كلمة كهذه»

قال سكوت هذه العبارة بنعومة، واحمر وجه الفتاة تلألأ... وعضت شفتيها ورفعت جين نظراتها ورأت سكوت يقطب جبينه ويبدو نافد الصبر يستحق هذا؛ كان يجب أن تكون لديه حكمة أكثر من الخروج مع فتاة مثل آلا بونسول.

«لست في مزاج لطيف جداً ياسكوت، أعتقد أنني سأطلب منك أن تعيد بي الى البيت»

«حسناً»

«حسناً الى حيث أقيم»

كان واضحاً أنها شربت كثيراً... هكذا فكرت جين، وقد ثبتت هذه الفكرة

كلمات الفتاة عندما قالت:

«انني أعيش على جزيرة سان فيسان بالسيدة كرتس، اذا كانت لذلك أية أهمية لك»

«لا أهمية لذلك»

«لا أهمية لذلك! يالها من وقاحة. يجب أن تهتمي بكل ضيوفك»

«ولكنك لست واحدة من ضيوفنا يا آنسة بونسول»

«انني ضيفتك الليلة، لقد أحضرني سكوت وهكذا يكون كلانا ضيفيك»

«ولكنك تقيمين في فندق آخر يا آنسة بونسول»

«في فندق الـ...»

وتوقفت وقطبت جبينها

«لا أستطيع أبداً أن أتذكر الاسم، ولكنه مكان عفن، لقد طلبت الاقامة هنا ولكن موظفة الاستقبال عندكم تصر على أن فندقكم كامل العدد وأنا واثقة أنه ليس كذلك»

«وأنا واثقة تماماً أنه كامل يا آنسة بونسول»

«حسناً... لايهم... سوف أعود الى هنا بعد غد...»

ومالت نحو سكوت، وتلقت جين نفحة من العطر الثقيل الذي تتعطر به آلا وسمعت آلا تقول

«وسوف تأتي أيضاً، أليس كذلك ياحبيبي؟»

«أعتقد أنني سأذهب الى سان فيسان بعد غد»

«انني سعيدة جداً لأنني أكره فعلاً السفر وحدي»

ووزعت ابتسامة مغرية على الموجودين... وتجهم وجه براندر وسأل آلا كيف أنهما لم يلتقيا قبل الآن؟ وقال:

«السيدة كرتس تعرف أنني أستمتع بصحبة الفتيات الجميلات»

وتبادل سكوت وجين النظرات، وقالت آلا:

«أتيت فقط لحضور حفل الشواء، هل أنت بخير هناك؟»

«مفروض تماماً... ولكن السيدة كرتس تتواجد في المساء وتظل في صحبتي، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

وقالت جين وهي تغتصب ابتسامة:

«انني أحاول ياسيد براندشو فغالباً ما يكون لدي أعمال أخرى.»

وتثاءبت أنا وقالت:

«سكوت حبيبي... انني متعبة جداً... هل تعود بي الى فندقي؟»

وتوقفت، وعندما لم يرد في الحال أضافت بدلال:

«أم أنني أستطيع الاقامة في منزلك الجديد الجميل؟»

«هل هذا هو ما تريدينه؟»

«كم أود ذلك... ألم أقل تواً إن فندقي فظيع؟»

«لقد قلت يا أنا ولكن من الصعب جداً ارضاءك. تذكري.»

«أعرف أنني سأكون أكثر من راضية بمنزلك الجديد...»

«لقد رأيته فعلاً...»

«ولكنني لم أنم هناك أبداً...»

ورنّ الصوت المفعم بالدلال في أذني جين الناعستين بحمل معنى خفياً، ونظرت الى سكوت وأخبرته عيناها بصراحة عن رأيها في أنا. وراقبت فمه وأدركت جين أنه مسرور في قرارة نفسه...

«اذن يا عزيزتي سوف تنامين هناك الليلة»

ولهثت جين... لم تعتقد حتى هذه اللحظة أن سكوت سيأخذ الفتاة الى بيته.

نهض سكوت وقال:

«هيا بنا»

ونهضت أنا ووضعت ذراعها في ذراعه قائلة:

«تصبحين على خير ياسيدة كرتس، تصبح على خير يا سيد براندشو، قد نلتقي

ثانية في وقت ما»

وتحول الفم الى وجنتي براندشو وقال:

«آمل هذا باخلاص، نعم الواقع أنني أرغب هنا، الى اللقاء»

والتقت عينا سكوت بعيني جين. كان سروره الداخلي مايزال هناك ولكن صوته لم يكن مفعماً بهذا السرور عندما قال:

«سيدة كرتس، تبدين متعبة جداً. أعتقد أنه يجب علينا الاعتذار للفراش، ألا توافق ياسيد براندشو؟»

وقطب الرجل المسن جبينه وقال:

«حسناً»

«كنت أعرف أنك ستتفقين معي ياسيدة كرتس»

باشارة من يده أوضح أنها يجب أن تتقدمه، وأطاعت بامتنان الدعوة الصامتة. وبابتسامة حيت الرجل المسن تحية المساء وتركته وسارت مع سكوت ورفيقته وتمتمت بنعومة بينما كانت أنا مشغولة بتمشيط شعرها أمام مرآة:

«أشكرك...»

«لاداعي للشكر على الاطلاق، تصبحين على خير ياجين، سأراك في الصباح»

وأومأت برأسها فقط بينما سار سكوت وأنا معاً ليقضيا الليلة في منزله

وبعد ذلك أضافت الغضب الى عواطفها الأخرى بينما رقدت مستيقظة في فراشها تتقلب على جنبيها لاتستطيع النوم

٦ ـ قناع الكآبة

عندما وصلت جين إلى منزل دربفورد في الصباح التالي، كان سكوت في مكتبه، دخلت بعد أن طرقت الباب وقالت:

«صباح الخير.»

«صباح الخير يا جين.»

ونظر إليها سكوت متمعناً ثم أشار إلى كرسي بجوار مكتبه، وجلست وعلقت في مفكرتها وتساءلت ترى أين ألفا نفسها الآن في الفراش... وقال بطريقة مرتبة:

«يوجد عدة رسائل لتكتبيها على الآلة الكاتبة، وتقرير آخر...»

وخلال الدقائق العشرين التالية أو نحو ذلك، كانت مشغولة ولكن ذهنها ظل يفكر في ألفا واضطرت مرتين أن تطلب من سكوت تكرار ما قاله.

وسألها وهو يقطب جبينه:

«ماذا بك هذا الصباح؟ ركزي.»

وعضت جين شفتها وبذلت كل ما في وسعها حتى يظل ذهنها مركزاً على عملها، ولكنها فشلت مرة أخرى، وفي هذه المرة انطلق الصوت المتعالي لمخدومها يطلب منها معرفة ما بها. كانت عيناه جامدتين وبدا فمه وكأنه في وضع لم تره إطلاقاً من قبل... وفجأة ارتجفت شفتها ووجدت نفسها تطرف بسرعة لمنع

الدموع التي كادت تنهمر، وتذكرت بحماسة لم يكن على هذا النحو مع ألفا ثم حزنت عندما خطرت لها هذه الفكرة، لأنه رغم ما كانت تشعر به إلا أنها لم ترغب في أن تضع نفسها في الفئة نفسها مع امرأة تطلب، بكل جرأة، أن تنام في منزل رجل.

وقالت بصوت جاف:

«إذا سمحت لي... إنني لست على ما يرام... أقصد... أشعر بصداع.»

«صداع؟ هل هذا هو سبب شرودك؟»

ومرت بيدها على عينيها في قلق:

«إنني لا أبكي.»

«لا؟ لكن لا بد أنه يوجد شيء في عينيك.»

«هل يتعين عليك أن تضايقني؟ ما هو هدفك؟ هل تنتقم مما فعلته لك منذ أربع سنوات؟ وإذا كنت تنتقم فإنني أعتبره سلوكاً مخزياً...»

وما كادت تنطق بالكلمات حتى ندمت عليها، فلم تكن العبارات التي يمكن أن يقولها الموظف لرئيسه.

وسادت فترة صمت قبل أن تظهر على وجهها، وحدقت مبهورة بالتعبير الغريب الذي لاحظته مرة من قبل، وتساءلت... فيم كانت أفكاره؟ لقد تنهدت ألفا لأن التنهد نفسها هي وسكوت وحدهما، كان التنهد حياً على نحو غير عادي بسبب الصمت والطريقة التي كان سكوت ينظر بها إليها، وبسبب إحساسها الخاص بها، وإدراكها التام أنه رغم غضبها واكتئابها فإنها تستجيب عاطفياً للرجل الذي أحبها حباً جماً في يوم من الأيام، حتى أنه طلب منها أن تتزوجه.

وأخيراً قال:

«أعتقد يا جين أنك تعرفينني بطريقة كافية تجعلك واثقة بأنني لن أقدم على أي انتقام، إن مثل هذا السلوك يعتبر مخزياً كما قلت.»

كانت النبرة ناعمة تكاد تكون لطيفة، وأمسكت جين أنفاسها، أطلقت شهقة صغيرة وبدأت شفتها ترتجف في رعشة مرة أخرى. أين كان اتزانها أين

القوة والثقة بالنفس اللتان تمسكت بهما أيام زمان؟ كانت هي التي تظهر ضعفاً بل عجرفة... في معاملاتها مع سكوت، وكان هو الذي بدا مفتقراً قليلاً الى الثقة بالنفس، بل متردداً خجولاً في بعض الأحيان.

«أعتقد أنك تدينين لي بالاعتذار»

قال ذلك وهو يقطع أفكارها التعيسة، وأحنت رأسها في حركة لاإرادية تنم عن الموافقة، وقالت في نبرات هادئة خافتة:

«أنا آسفة، لا أعرف ما الذي جعلني أقول هذا»

وفجأة حول سكوت نظره عنها وكأنه لا يريد أن يكشف عن تعبير وجهه، كان صوته لايزال لطيفاً عندما تكلم، ولكنه كان حاسماً أيضاً

«ستعودين الى كوزال غيلز وتذهبين الى فراشك»

نظر اليها ملياً وقال:

«انك لم تنامي... أليس كذلك؟»

وهزت رأسها بدون تردد قائلة

«لا... لم أنم»

وبعد لحظة سألها بنعومة

«لماذا لم تنامي يا جوزي؟»

«بسبب الحر»

وكانت تأمل أن يكون سبباً معقولاً. كانت قد لاحظت عدة مرات أنه قوي الملاحظة ووجدت نفسها الآن تخشى أن يخمن السبب الحقيقي لعدم نومها.

وهز كتفيه وقال بدون اهتمام كبير:

«لقد قلت إنه بسبب الحر فهو اذن بسبب الحر»

ونظرت اليه بسرعة، ولكن وجهه كان غامضاً لايعبر عن شيء، وتمتمت قائلة:

«لاداعي لأن أتصرف»

فهمت الآن فقط المعنى الكامل لقراره بالعودة الى بيتها... كان واضحاً أنه

قلق عليها وكان تفهمها هذا أثر عجيب عليها مما أدى الى دمعة تنهمر على خدها. وقطب سكوت جبينه عندما لاحظها ومرة أخرى حول نظره عنها... كانت جوزي متأكدة من أن قلقه نابع من فكرة أنه اذا لم يدعها تعود الى بيتها الآن فانها قد تمرض ولاتستطيع الحضور للعمل عدة أيام... وهي تعرف أن هذا سيزعجه وأنه لا يهتم فقط الا بهذا الازعاج!

قال وهو يتجاهل كلماتها:

«سوف أعيدك في سيارتي... اذهبي واجمعي حاجياتك»

«ولكن...»

وقطع الاعتراض بتعبير وجهه حتى قبل أن يتكلم وكرر بهدوء كبير قائلاً:

«اذهبي واجمعي حاجياتك يا جوزي سوف أنتظرك في الخارج»

كانت الرحلة الى كوزال غيلز صامتة، اذ استغرق سكوت في التفكير بينما عادت جوزي بأفكارها الى أنا مرة أخرى، وسادت الكآبة ملامح جوزي بالاضافة الى التعب الذي كان مستولياً عليها

وابتلعت جوزي غصة استقرت في حلقها

«ها نحن قد وصلنا»

قال سكوت هذه العبارة فجأة، كأنها لمجرد أن يقطع الصمت العميق الذي ساد طوال الرحلة القصيرة من منزل مريفلورز الى كوزال غيلز واستطرد قائلاً:

«تذكري ما قلته... اذهبي الى فراشك»

«أشكرك لأنك سمحت لي بالعودة، سوف أكون على خير مايرام في الصباح»

ونظر اليها بدون اهتمام وهو ينحني ويفتح لها الباب، وخرجت وأغلقت الباب، وتصادف أن جاء ليس في تلك اللحظة، وتغير تعبير وجهه في الحال، فبدا القلق في عينيه وهو ينظر الى أخته متفحصاً، وسألها بقلق وهي على وشك أن تشرح له الأمر:

«هل حدث شيء؟»

«لقد شعرت بالتعب وسمح لي سكوت بالعودة»

«أنت شعرت بالتعب؟ وعرف هو هذا؟»

«لقد ظن أنني لم أنم»

«لا بد أنه كان شديد الملاحظة»

«لم أكن أركز على عملي، ولذلك كان لا بد أن يلاحظ أنني لست على ما يرام»

«لقد عاد بك الى البيت بنفسه؟»

«نعم.. لعله أعتقد أن هذا أسرع من طلب تاكسي تليفونياً»

كان ليس لايزال يراقبها متمعناً وأخذ يفكر بشيء من الضيق. ثم قال قائلاً وكأنه يحدث نفسه.

«انني أتساءل: لماذا يلح عليك الى هذا الحد؟ انني متأكد أنه لم يكن لدى رئيس عمل آخر ليفكر بأن يعود بك الى البيت بنفسه»

«لم تكن المسافة بعيدة»

«أعرف ولكن لا بد أن هناك سبباً ما لقلقه عليك»

وسكت ليس وأخذ يفكر

«هذا كان لايزال مهيأً»

لكنه قطع عبارته بحدة وقطب جبينه، ورغم جهود جين في الاحتفاظ بهدوئها إلا أن الدم تدفق في وجنتيها، وعندما لم تتكلم استمر ليس قائلاً:

«يبدو أنني أتذكر أنك تجنبت رداً مباشراً عندما سألتك عن شعورك نحو سكوت»

وهزت كتفيها بدون اهتمام وهي تأمل أن تلقى الحركة بالأثر المطلوب.. وقالت:

«لايمكن أبداً أن يكون هناك أي شيء بيني وبين سكوت الآن. لقد قلت لك ذلك يا ليس»

وظل متشككاً، واستغرق في حالة من التخمين، وأخيراً قال:

«لا أزال أعتقد أن عدم زواجه أمر غريب»

«انه يقضي وقتاً طيباً بدلاً من الزواج»

لقد وجدت جين صعوبة في ابداء رأيها وحاولت تجنب عيني أخيها وهي تتكلم، واستمرت تقول:

«لقد اعترف لي أنه يفضل هذا النوع من الحياة على الزواج»

وهز ليس رأسه وقال:

«لايبدو لي إطلاقاً أنه من ذلك النوع»

وقاومت فمها لتخبره أن أنا نامت في منزل مريفيلد الليلة السابقة، ولكن شيئاً ما منعها، لم ترغب في أن يعرف ليس هذا الحادث بالذات، ولكنها قالت:

«انه من ذلك النوع يا ليس، لقد قلت لك أنه اعترف بذلك»

«من الغريب أن يكون مستعداً للاعتراف به على هذا النحو ألا تعتقدين هذا؟»

«لا أعرف بالضبط الى أين تقودنا هذه المحادثة يا ليس، أو ما الذي تريد أن تصل اليه، ولكنني أريد أن أذهب الى الفراش إذا سمحت لقد أوصلني سكوت الى هنا حتى أرتاح»

«انك تهربين ثانية. لن أهتم إلا بشؤوني الخاصة في المستقبل»

«هل تسمح بإيقاظي وقت الشاي؟»

«ألا تريدين أي غداء؟»

«لا شكراً يا ليس... سأحاول النوم فترة طويلة..»

وبدهشتها استطاعت أن تنام حتى أيقظها ولكنها ظلت فترة تفكر في سكوت، وبتنهيدة عميقة نهضت أخيراً، وأخذت حماماً وارتدت ثوباً قطنياً جميلاً بفتحة عنق منخفضة، وبدون أكمام، وشعرت بتحسن، ربما منظرها أفضل. هكذا شعرت ببعض الارتياح وهي تلقي نظرة أخيرة في المرآة قبل أن تهبط الى الطابق السفلي حيث يقدم الشاي في غرفة الجلوس. كانت اجازة جورين في ذلك

الأصيل، لجلست وحدها في الشرفة.. وخرجت جين إلى الشرفة وانضمت إليها وجربت لأول مرة من الشاي الذي يجتمعون في غرفة الجلوس في انتظار أن يقدم لهم شاي بعد الظهر.

ونظرت جورين إليها وابتسمت، كان واضحاً أنها لم تكن سعيدة، وأن الابتسامة مغتصبة، وتعاطفت معها جين بقلبها وتمنت لو تستطيع فعل أي شيء حتى تخبر الفتاة أنها أخت ليس وليست زوجته. ولكن هذا كان مستحيلاً بالطبع. وساد صمت رهيب بين الفتاتين قطعته جين أخيراً عندما سألت جورين كيف كانت تمضي أجازتها وأجابت جورين بدون اهتمام كبير

«أسير على الشاطئ..»

«ألا أراك تسبحين إطلاقاً»

«إنني أسبح، ولكن ليس هنا لا أجد متعة في السباحة بمفردي»

كانت كآبتها واضحة جداً. وقطبت جين جبينها وعضت شفتها وقالت:

«في أجازتك القادمة سنذهب سوياً.. سيكون هذا يوم الجمعة على ما أعتقد»

وأومأت جورين برأسها. كانت عيناها الشبلتان مركزتين على صفحة المياه البللورية الصافية، التي تمتد بعيداً حتى الأفق حيث تلتقي بالسماء الزرقاء التي تنتشر فيها السحب الشفافة، وسألتها فجأة وهي تدير رأسها لتنظر إلى جين

«هل ستأتين لتسبحي معي حقاً»

«طبعاً.. أنا أيضاً سوف أسعد بالصحبة»

وبعد لحظة صمت قالت في تردد

«زوجك.. السيد كرتس.. ألا يسبح معك؟»

«ليس لديه وقت كي يسبح لاحظت هذا»

«نعم»

وسكتت لحظة أخرى ثم قالت

«إنكما لم تتزوجا منذ فترة طويلة. أليس كذلك؟»

وأفلتت تنهيدة من جين. كان هذا وصفاً غريباً. ثم قالت

«لا يا جورين.. لم نتزوج منذ فترة طويلة»

وشعرت جين بالارتياح عندما شاهدت الساقي يقترب ومعه صينية شاي جورين، وسألتها

«هل يزعجك إذا تناولت الشاي معك؟»

وترددت الفتاة قليلاً ثم هزت رأسها

«لا يزعجني على الإطلاق ياسيدة كرتس»

لم تكن رفقة سارة جداً. فقد كانت جورين صامتة وحزينة، ولم تتكلم إلا للضرورة وأحست جين ولكن الأمر كان متوتراً بطبيعة الحال وهي تحاول أن تجري حديثاً مع شخص مصمم على التزام الصمت، وقالت جورين فجأة بينما تتناول آخر كوب من الشاي

«سيدة كرتس، أريد أن أقدم إخطاري بترك العمل»

وساد الصمت، وجلست جين تراقب تغير وجه الفتاة، ولاحظت بوجه خاص الحركة القلقة لشفتيها وسرعة رمش عينيها، مما يدل على أنها كانت على وشك البكاء. لا بد أن تجد طريقة لعلاج هذا الوضع. هكذا فكرت جين، وشعرت بدون سبب معقول أن ليس لا بد أن يتجه في نهاية الأمر إلى هذه الفتاة المسكينة

«وما هو السبب في أنك تريدين الرحيل؟»

هكذا سألتها جين أخيراً.

«إنها.. إنها..»

وسكتت جورين، وأدارت رأسها إلى الناحية الأخرى، فلم تكن تريد أن ترى رفيقتها مدى انفعالها وبعد لحظة استطاعت أن تقول:

«أنا أريد ترك العمل ياسيدة كرتس. أرجوك لا تطلبي مني تفسيراً أكثر من هذا»

«إن السيد كرتس سوف يطلب تفسيراً»

«لا أستطيع أن أعطيه تفسيراً»

عندما كانت تسلك طريقاً طويلاً لتستمتع بالهدوء قبل أن تأوي الى فراشها.

فصاحت:

«آه... أنا آسفة»

ولم تكمل عبارتها، ولمست بيدها ذراعيها... وأثارت اللمسة الذكريات وأدركت أنه ليس وجهه فقط الذي ظل واضحاً في مخيلتها طوال تلك السنوات الأربع، ولكن ذكرى لمسته أيضاً. وتوردت وجنتاها ولاحت ابتسامة بطيئة على شفتي سكوت وهو يحدق في وجهها لحظة قبل أن يقول:

«أين تذهبين في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟»

وابتعدت عنه جين قليلاً وأجابت:

«كنت أريد التنزه قليلاً»

«وحدك؟ لماذا لا يصحبك زوجك؟ انكما لاتزالان في شهر العسل. أو يجب أن تكونا كذلك»

وتحولت العبارات الرقيقة الى موجة من السخرية وراء احمرار وجهها... فقالت:

«انه مشغول مع الضيوف»

وحاولت أن تمضي في طريقها ولكن سكوت اعترضها وسألها ساخراً

«هل يحب عمله الى هذا الحد؟»

«من واجبه العناية بالضيوف. ان زوجي يضع عمله قبل أي شيء آخر»

لقد كاد لسانها يزل وتقول انه أخي، ولكنها عندما نظرت الى وجه سكوت القاتم شعرت بارتياح لأنه لم ينتبه الى ترددها... ترى هل انتبه الى ترددها؟ هل يمكن أن يحس أنها تخدعه وأنه لا ينوي أن يكشف لها عن معرفته بهذا الخداع؟ وهزت رأسها في ارتباك وأزاحت من ذهنها الفكرة

وقال سكوت:

«زوجك اذن يضع العمل قبل أي شيء. أخيراً لقد تحولت الى زوجة متعاطفة جداً

ومتفهمة!»

«أعتبر ملاحظاتك مهينة. انها شؤوني الخاصة ولذلك أطلب منك عدم التعليق عليها»

«هل هذه هي الطريقة التي تتحدثين بها عادة مع الضيوف؟»

«ان الضيوف لايستفزونني عادة»

«قد يكون من الأفضل أن أعرفك من أنا... كنت أنوي أخبار زوجك في أول فرصة، ولكنه بدا مشغولاً جداً وقررت أخباره غداً»

وسكت سكوت لحظة ولاحت على شفتيه ابتسامة باهتة عندما رأى الشحوب يزحف الى خديها فجأة. وقال:

«يبدو أنك عرفت بالفعل من أنا...»

ولكن جين هزت رأسها بشدة، وكأنها تريد أن تطرد الحقيقة قبل أن تبدو واضحة. فقال بهدوء:

«انني رئيسك يا جين: لقد قررت أنه من الأفضل أخبارك قبل أن تتمادي في عدم احترامي»

«رئيسي... رئيسنا... هل تملك هذا الفندق؟»

«وانا شركة...»

وقالت متلعثمة:

«لايمكن.. لا.. لايمكن...»

«انني أعترف أنها مصادفة غريبة لاتصدق ولكن مثل هذه الأشياء تحدث فعلاً. لم أتصور أن في وسعي تمضية بقية حياتي في تجارة الأحذية ولذلك بحثت عن عمل شيق أكثر»

ورغم أنه هو الذي قدم هذه المعلومات إلا أن نبرة صوته لم تكن وديعة. بالعكس، كان الآن رئيس العمل البارد المتعالي البعيد.

«لا... أعرف ماذا أقول...»

كانت نبراتها مرتبكة وحادة، وأضافت جوين وهي تدير رأسها ملتفتة الى الناحية الأخرى

«ان السبب خاص ولا يمكن أن أكشف عنه»

«ومتى تريدين أن تتركي العمل؟»

«أتوقع أن أقدم اخطاراً بترك العمل قبل شهر»

وأجابت جين موافقة

«أتوقع ذلك، والى أين ستذهبين؟»

«الى بلادي»

«الى انكلترا، ولكنك كنت هنا في باربادوس منذ مدة، هكذا قال لي زوجي»

«صحيح... لقد عملت في فندق أمريكانا أربع سنوات وتركت العمل هناك بعد أن تغير رئيس العمل، ولم أستلطف رئيسي الجديد»

«آه... نعم أتذكر هذا»

وتوقفت قليلاً ثم سألتها

«وهل لابد من ذهابك الى انكلترا؟»

«نعم لا بد»

والتقت نظرها مرتبكة فنظرت الى أعلا، كان ليس يحتسي الفنجان ثم جلس وقال ملاحظاً

«أرى أنكما كنتما تتهيآن من تناول الشاي، لاتسرعا فانني أحب أن آكل وحدي»

وأشار الى الساقي الذي أتى في صمت وهو يبتسم فقال له

«أريد شاياً وكعكاً وشطيرة واحدة فقط»

وساد صمت محرج، ونظر ليس الى أخته مستفسراً حائراً، ونظرت هي بدورها الى جوين التي كانت نظرتها تقول بوضوح: قولي له أرجوك وقالت جين له

«جوين تريد أن تتركنا»

وظهرت تقطيبة سريعة على جبينه، وسأل جوين قائلاً

«ولماذا؟ هل لديك أية شكوى؟»

ونهضت وهي تشيح بوجهها

«لا ياسيد كورتس. لقد قررت فقط مغادرة باربادوس»

وعندما رأته جين عن كثب وجدت أن أخاها يبلع ريقه بصعوبة

وسمعته يقول في نبرات يشوبها خليط من الاقناع والندم

«هل هذا قرار حاسم ياجوين؟ ألا تعيدين النظر فيه؟»

«لا... لا أستطيع البقاء ياسيد كورتس»

وبعد فترة طويلة من الصمت هز كتفيه وقال باستسلام

«حسناً ياجوين، نأسف جداً لأنك تتركينا بهذه السرعة»

ونظر اليها واستطرد قائلاً

«ان قرارك مفاجئ... فقد كنت حريصة جداً للحصول على الوظيفة»

«نعم... كنت في ذلك الوقت»

«فلا بد أن شيئاً قد حدث»

وتساءلت جين... ان ليس يبلع رغم ما بدا عليه من استسلام، ترى هل يمكن أن يكون قد بدأ يرى جوين في ضوء آخر الى جانب أنها موظفة عنده؟

وقالت جوين وهي تشيح بوجهها حتى تتجنب عينيه

«أريد مغادرة باربادوس، وهذا آخر رأيي ياسيد كورتس»

وأطلق تنهيدة صغيرة وقال

«يبدو أنك لن تغيري رأيك، ان اخطارك لترك العمل لا بد أن يبدأ في نهاية الأسبوع القادم ياجوين، هل تفهمين؟»

«كنت أظن أنه يتعين علي أن أقدم الاخطار قبل شهر فقط»

وقال يبتسم

«من نهاية هذا الشهر»

«معنى ذلك أنني سأضطر الى البقاء ستة أسابيع أخرى؟»

«تقريباً»

وركز عينيه على وجهها عندما التفتت أخيراً لتقابل نظرته، واستطرد:

«أرجو ألا تخذليني»

وردت بسرعة:

«لا.. لا ياسيد كرتس، لا يمكن أن أفعل هذا»

ولم يقل أكثر من كلمة أشكرك ثم وجه اهتمامه الى الطعام الذي كان الخادم قد وضعه أمامه لتوه. وصبت له جين الشاي بينما نهضت جوين واستأذنت وتركتهما، ونظر ليس الى جين وقال:

«لماذا تريد أن ترحل؟ هل أخبرتك بسبب هذا القرار المفاجئ؟»

«لا يا ليس... لم تخبرني»

«هل أنت متأكدة؟»

«متأكدة تماماً»

«لست مقتنعاً»

«ان جوين لم تخبرني عن أي سبب لرحيلها»

«يقال، لا يفهم المرأة إلا امرأة مثلها. هل لديك أنت شخصياً أية أفكار عن قرارها؟»

ورأته متمعناً، وشعرت بالدم يصعد الى وجنتيها بينما فرضت الكذبة نفسها على شفتيها:

«لا... لماذا تكون لدي أية أفكار؟»

«لا أعرف لماذا تكون لديك أفكار، ولكنني لست مقتنعاً على الاطلاق: هناك شيء ما لا أفهمه»

كان محقاً، وللحظة سريعة فكرت جين، هل تذكر له ملاحظتها أم لا؟ ولكنها قررت الاحتفاظ بمعلوماتها لنفسها لأنها أدركت أنه سيحرج ليس اذا كشفت

عنها. في أية حال لم يكن قد أبدى أي دليل على أنه معجب بالفتاة، وبعد قليل قال:

«حسناً... ألا تريدين أن تحدثي؟»

وهزت جين رأسها وهي حائرة، وتنهدت بعمق وارتياح عندما رأت أحد خدم الفندق قادماً نحو أخيها، وكان واضحاً أن رسالة له على شفتيه، وقال:

«سيد كرتس... مكالمة تليفونية لك»

«أشكرك»

وبنظرة الى أخته نهض ليس، كانت وحدها في اللحظة التالية تفكر في الوضع وتشعر بالكآبة أكثر من أي وقت آخر. فقد بدا ليس فعلاً أنه منزعج أكثر من العادة من قرار جوين بالرحيل.

وتأثرت بالموضوع الى حد أنها كانت في أشد الحاجة الى أن تخبر أحداً، فأخبرت سكوت به في صباح اليوم التالي لدى وصولها الى منزل دريفوود، وختمت كلامها قائلة

«أعرف أنه ما كان يجب علي ازعاجك بهذا الموضوع»

قالت ذلك عندما رفع حاجبيه وسألها عن سبب اخباره

ثم استطردت:

«بالواقع أنك الشخص الوحيد الذي أستطيع التحدث اليه، وكان لابد أن أتحدث الى شخص...»

«وماذا تتوقعين مني أن أفعل بشأن هذا؟»

«لا شيء في الواقع»

ثم رفعت عينيها المتسائلتين الى وجهه وقالت:

«هل توافق على...»

وهزت رأسها ثانية وهي تتنفس بشدة.

«تعنين الكشف الكامل عن الحقيقة؟ لايامرتي جين، لن أوافق»

كانت اللهجة أكيدة والفة صارماً واستطرد:
«في الوقت الحاضر، ليس من مصلحتي أن أكشف عن الحقيقة»
«ليس من مصلحتك»
وتذكرت انطباعها السابق بأنها قيدت داخل فخ، واستمرت تقول بحنق وتهور:
«في الظروف الراهنة تلك سيطرة عليّ»
ولم يبد تعليقاً للحظة، ثم قال أخيراً:
«نعم انني أملك سيطرة معينة عليك»
ونظر اليها مليّاً بعينيه الزرقاوين اللتين تألقتا بالسعادة عندما لاحظ لون وجهها يتغير، وأضاف بنبرة غريبة في صوته:
«انني لم أعتقد تماماً فكرة أن تستمتعي مع بعضنا، وإذا قررت أن تكوني عاقلة فإن هذه السيطرة التي أمتلكها عليك ستجعل اعتراضاتك ضعيفة بعض الشيء، إذا أبديت أية اعتراضات.»
وأسرع نبضها واشتد حنقها، ترى هل عرف شعورها نحوه وأصبح واثقاً من استسلامها!
وأجابت:
«سوف أعترض بكل تأكيد، وحتى السيطرة التي تملكها عليّ لن تجعلني أقبل مثل هذه العلاقة»
وقال ساخراً:
«مثل هذا؟ انها موضة قديمة تماماً مثل الزواج»
وارتجفت شفة   جين   رغماً عنها، لو أنه يعرف فقط مدى الألم الذي أحدثته مثل هذه السخرية وهي تخترقها مثل شوكة قاسية! ولكنه لا يهتم. لقد مضى الزمان الذي كان يهتم فيه بمشاعرها، مضى منذ وقت طويل، وأصبح بعيداً عن متناول يدها مثل الرجل الذي كانت تعرفه.
وقالت له أخيراً:

«ليس من المهارة أن تكون بمثل هذه السخرية   يا سكوت، لا يزال يوجد أناس طيبون في العالم»
«أعتقد أنك تقصدين النساء، عندما تشيرين الى الأناس»
«يبدو أنك تعتبر كل النساء... متحللات»
لقد بذلت جهداً قليلاً لتنطق الكلمة الأخيرة، ولكنها استطاعت أن تلفظها، بل استطاعت أن تحتال فيه وهي تلفظها.
«كل النساء... متحللات»
وردت عليه باكتئاب:
«لعله من الأفضل أن أنصرف وأستمر في عملي، ان هذه المحادثة تتخذ اتجاهاً مختلفاً عما قصدته.»
وابتسمت العينان الزرقاوان ابتسامة باهتة.
«كنت تريدين الكلام عن هذه   الجزيرة   وأشيائها»
«كنت آمل أن أجد طريقة لمساعدتها»
«لمساعدتها! يبدو أنك لم تشهدي أي دليل على أن أخاك يهتم بالفتاة»
«لقد بدا منزعجاً من فكرة رحيلها»
«أعتقد أن هذا يرجع الى أنها موظفة جيدة، وعلى عادة يجب أن يحتفظ بهذا النوع إذا استطاع»
«انني متأكدة أن الأمر كان أكثر من ذلك»
«أشك في هذا في أية حال، لا يوجد ما يمنع أخاك من عقد علاقة غرامية مع الفتاة! ألم أقل تواً ان الزواج موضة قديمة؟»
وردت   جين بغضب متجاهلة سؤاله عن الزواج:
«ان   ليس   لا يحلم بإقامة علاقة غرامية. الى جانب أن المفروض أنه متزوج، هل نسيت؟ ان   جرين   تترك العمل لأنها تعتقد أنه متزوج»
ولدهشتها أفلتت ضحكة من   سكوت، وأضاءت العينان الزرقاوان بمرح على

تبدو غاضباً جداً، كما أظن» بحزن عميق ـ ذكريات كثيرة كانت «جين» تعتقد أنها ماتت.

كان هذا هو سبب عدم إعجابها بأي رجل آخر طوال هذه السنوات الأربع ونظرت إلى عينيه الساخرتين وتمنت من كل قلبها لو تقول له ما يدور في ذهنها.

وقال «سكوت» بلمسة من التهكم:

«لا تزالين على أن أخاك لن يقيم أية علاقة غرامية، أو أي رجل لا يتردد في ذلك إذا وجد الفرصة»

«وماذا عن «جوين»؟ هل تعتقد أنها ترضى بعلاقة مع رجل متزوج وتعرف زوجته؟»

وضحك «سكوت» ثانية وقال:

«لقد ورطت أنت وأخوك نفسكما في مأزق أليس كذلك؟»

«ربما لن تصدق، ولكنني كرهت الخداع»

«كرهت الخداع؟»

«إنني لم أحضر إلى هنا إلا لأن أخي كان سيشعر بالإحباط الشديد لو أنه فقد الوظيفة. كانت له صديقة، وكنا نعتقد أنها جادة في الزواج، وهذا هو الذي جعله يقدم طلباً لشغل الوظيفة»

وتوقفت ونظرت إليه معتذرة واستطردت:

«لقد قلت لك هذا من قبل أليس كذلك؟»

«بعد أن كشفت عن حقيقة معرفتي بأنك أخت وليست زوجة مدير كورال قستاره»

وتوقف لحظة ثم استطرد:

«معنى هذا أنه لو استطاع الزواج من تلك الفتاة والحضور معها لما أتيت أنت هنا على الإطلاق؟»

«بالطبع لم أكن لأحضر»

«وهل أنت آسفة لأنك أتيت؟»

وأشاحت برأسها حتى لا يرى تعبير وجهها، فلم تكن تعرف ما كانت تشعر به. لا. صحيح أنها كانت ستتجنب كثيراً من ألم النفس، ومع ذلك لم تستطع أن تقول حقاً إنها آسفة على مقابلة «سكوت» ثانية هذا رغم كل التغييرات القاتمة التي طرأت على شخصيته. وعندما ظلت ترفض الإجابة أو ترفع رأسها شعرت بأصبعه تحت ذقنها وتمتم قائلاً:

«لأنك لست آسفة»

وفي حماة انتصار اللحظة أخذها بين ذراعيه ثم قال:

«ستكونين عاشقتي. لن تستطيعي منع نفسك»

وصرخت وهي تحاول جاهدة الابتعاد عنه:

«سأمنع نفسي. لن أوافق أبداً على أن أرتكب خطأ من هذا النوع»

«خطأ؟»

قال هذا وهو يضحك ويستطرد:

«كيف يمكن أن يكون هذا خطأ عندما يكون طبيعياً؟»

ولم تستطع «جين» أن تتكلم بسبب الألم والاشمئزاز بداخلها واستمر «سكوت»:

«سوف توافقين في النهاية»

«إذن سننتظر ونرى»

وتمتم:

«أعتقد أنني لن أنتظر طويلاً...»

ثم استطرد:

«إنني أريدك، بل أعتقد أنني أنتقم منك على «أنا» وهذا إطراء لك في الواقع لأنك تحديت بإحراجي «جين» هل لأنك غاضبة؟ أم أنني أحرجتك؟ أم أن إطرائي لك...»

وهمست بضعف

«إني أكرهك.. أعتقد أنك أكثر رجل كريه قابلته في حياتي»

وأبعدها عنه، ونظر اليها بعينين متسائلتين ولكن ساخرتين أيضاً، وقد بدا فيهما المرح وقال:

«تكرهينني؟ هل تكرهينني حقاً؟ أخبريني الآن لماذا تكرهينني لهذا الحد؟»

«بسبب التشهير... انا كان لابد أن تعرف»

«أنا...»

ومن الغريب أنه بدا راضياً بإجابتها، وقال:

«إذن أنت لاتحبين التشهير؟»

ولم تستطع إلا هز رأسها في صمت فقد شعرت بالدموع تملأ عينيها بسبب الحزن العميق الذي يعتمل بداخلها وقال:

«كنت آمل أن يكون التعبير للأفضل»

وشكت قليلاً في أنه يكتم الضحك.. واستطرد:

«هل تذكرت ياعزيزتي جينا أنك كنت تشعرين بالضيق مع رجل غير مجرب... أم.. انك لم تقولي هذا بصراحة، الواقع كنت لبقة في الطريقة التي صغت بها شكواك من شخصيتي، ورغم ذلك كان واضحاً جداً أنك تحتقرين الرجال الذين من طرازي، ويبدو أن مثالك الأعلى يجب أن يكون طاقية يجيلك الى عينة ولكن يجب أيضاً أن يكون رجلاً يعرف الكثير... رجلاً عاطفياً في الواقع»

كان المرح يزول تدريجياً من صوته وهو يتكلم حتى أصبحت عيناه مظلمتين بالغضب في النهاية، وهزت جينا رأسها في حيرة وهي مدهشة من أنه يتكلم معها بهذه الطريقة، ماذا يهم ما قالته في الماضي؟ كان يجب أن ينساه. سكوت منذ زمن طويل، وتذكرت أنه شكرها على أنها رفضته في الواقع، كان متحمساً على أنه هرب من الزواج بل مضى وقال ان الرجل يستطيع أن يستمتع بكل المزايا بدون أن يحصل على عائق الحب، الذليل وهو النصيب العادي للرجل المتزوج. وضمها اليه... وحاولت أن تنتزع نفسها من بين ذراعيه، ولكن ذراعيه أطبقتا

عليها بشدة وضغط حتى تألمت وأطلقت أنة ألم وصرخت:

«دعني أذهب.. لقد حضرت الى هنا لأعمل وليس لـ...»

وتوقفت ولم تعد تعرف ماذا أرادت أن تقول..

«مغازلة الغرام..»

هكذا أتم سكوت جملتها بنبرة عجيبة، واستطرد:

«ان الوقت لايزال مبكراً في الصباح، ولكنك مغرية جداً، خاصة وأنت في هذه الحالة من الاعتراض»

ومرة أخرى حاولت عبثاً أن تتخلص من قبضته.. وقال لها:

«انني استمتع بالقتال، وأعتقد أن النساء أيضاً يستمتعن به فغالباً ما يفعلن مافعلته أنت الآن هل مقاومتك حقيقية أم تهدف الى أن أستمر؟»

كان يضحك منها و يستمتع بعجزها وضعفها وهي تحاول الهرب من قبضته، وأحنى رأسه عليها ومضى يقول:

«انها متعة حقاً أن أسيطر عليك يا جينا. تستطيعين التأكد من أنني سوف أستعمل كل قوة من أجل ذلك»

٧ ـ تهديدات العاشق

خلال الأيام القليلة التالية كانت جين تخشى أي مزيد من الجدل مع سكوت، الذي بدا تهديده أمراً لا يستهان به. على أن الأيام مرت بدون أحداث حتى بعد ظهر يوم الاثنين عندما قال سكوت لجين انها تستطيع أخذ اليوم التالي إجازة لأنه سيذهب الى سان تسان.

ولم تبصر أثراً له بعد عودته وزيارة العشاء في الفندق مساء يوم الاثنين لم يكن مستديم الآخر موجوداً ولذلك رقص معها سكوت طوال الوقت حتى الساعة العاشرة والنصف، عندها رأتهما جين يسيران نحو ركن من أكثر أجزاء المنطقة عزلة وظلاماً.

وفي يوم الثلاثاء سألت جين ان تستطيع الانصراف قبل موعدها بنصف ساعة، اذ كانت ستقابل رجلاً عنده سيارة للبيع، سيحضرها الى كورال غيبلز. وكانت جين تأمل أن تناسب متطلباتها، وذكرها قائلاً:

وقلت انني سأفحص السيارة لك هل نسيت؟

لا... ظننت أنك ربما غيرت رأيك بعد... بعد الحالة التي كنت فيها... في ذلك اليوم.

وأضاءت ضحكة عينيه وقال بدون اهتمام:

وكانت مجرد تسلية... كنت جذابة جداً وشعرت برغبة في أن أخفف من تزمتي ولا

صلة لها بالأشياء الأكثر عملية وأهمية مثل شراء سيارة.. سأفحصها لك بالطبع، هل تعرفين انهم سيحضرونها الى كورال غيبلز بعد ظهر اليوم؟

نعم... ان الرجل لا يستطيع إحضارها في أي وقت آخر.

وهو كذلك... نستطيع أن نكون هناك.

ونظر الى ساعة يده وهو يتكلم.

هل ستوصلني الى الفندق؟

اذا كنت ستذهبين الى كورال غيبلز فمن البديهي أنني سأوصلك.

وعندما جلست جين بجانبه في السيارة بعد قليل، فكرت فيما قاله عن هذا المشهد الذي لا ينسى بأنه كان مجرد تسلية، وشعرت باستياء عميق الدرجة أنها وجدت نفسها تبحث عن بعض الوسائل للانتقام. كانت الطريقة التي تستطيع تحقيق هذا الانتقام غامضة الى أقصى حد، ولكنها اتخذت شكلاً محسوساً أكثر عندما التقت في الأسبوع التالي بالشاب الوسيم هال شارلستون في نادي اليخوت. كانت مناسبة اللقاء حفلاً راقصاً أقامه النادي، و جين تلقت دعوة من فرنك دينفد التي حضرها هو وزوجته سوزان كثيراً من مثل هذه الحفلات.

كانت جين تبدو في أبهى صورة، وقد ارتدت ثوباً أبيض طويلاً مزيناً بحبات تلمع في الضوء الناعم الخافت. وتعرفت على هال بعد وصولها بقليل، فقالت سوزان وهي تقدمها له:

قلت لك انك ستقابلين شباناً ممتازين في النادي.

ثم مضت تقول مداعبة انه يجب أن تحرص جين على ألا تقع في الحب لأنها متزوجة!

حسناً.. انها لن تقع في الحب.. هكذا فكرت جين. ولكن هال كان جذاباً بالتأكيد، وقد سرّها أن تعرف انه مهتم بها بدون وكأنه لا يستطيع أن يرفع عينيه عنها فور أن تعرف عليها، وعندما قدم أهلاً وسهلاً كان رده يدعو الى.

ولم يلبث أن طلب منها مراقصته وقد استمتعت جين تماماً بكل رقصة.

لقد كانت نظراته وخطواتها في انسجام تام، وحاولت ألا تفكر في سكوت وتانيا اللذين كانا حاضرين أيضاً، ويرقصان سوياً معظم الوقت. ولكنهما كانت تجدهما أمام عينيها في بعض الأحيان، وعندئذ تغمرها موجة من الكآبة.

«لا بد أن نتناول العشاء سوياً»

هكذا قال هال عندما جلس هو وجين يتناولان المرطبات. وأضاف:

«انني سعيد جداً بلقائك»

كانت مرارته وتلقائيته تلوّنان الانتصار بعد السخرية والتهكم اللذين كان سكوت يغلفهما كلما التقى بها. ووجدت جين نفسها توافق على الخروج مع هال، وحدد لها موعداً قبل نهاية السهرة بفترة طويلة.

وتقدم سكوت ودعاها للرقص واحتضنت بين ذراعيه وابتعد بها إلى وسط القاعة. كان يبدو غاضباً، وكأنه يحس في داخله. ترى هل لاحظت يد... أنه قد يستحق هذا لو كانت قد فعلت. وسألها سكوت فجأة:

«هل تستمتعين بوقتك؟»

«جداً...»

ثم أضافت بشيء من السخرية:

«أظن أنك أيضاً تستمتع بوقتك»

ومن الغريب أنه لم يرد. وبدا متشوقاً. كان واضحاً أن شيئاً ما قد حدث... شيئاً سبب له ضيقاً كبيراً

«أشكرك»

قال هذا بجفاف عندما توقفت الموسيقى واستدار وتركها. كان هال بجانبها بعد لحظات، ولم تستطع جين التأكد مما إذا كان سكوت قد التفت بسرعة عندما قال الشاب:

«أريد أن أرقص معك بقية الرقصات كلها يا جين»

وهذا ما حدث، ولكنه سأل جين بعد ذلك إذا كانت ترغب في الخروج إلى

الهواء الطلق. وعندما وافقت خرجا وسارا في الحدائق وعبرا المظلة المسقفة الخاصة بالنادي أثناء السير كان هال قد وجه إليها أسئلة عن زوجها وقد اضطرت لقول بعض الأكاذيب المتعمدة، بل وكذبات محضة أكثر. ألم تكن تشعر بحضور خفي كهذا يصون زوجها؟

وجه إليها هذا السؤال في البداية، عندما كانا يرقصان سوياً لأول مرة.

«لا... لا أبالي... إن لديه عملاً ولا تستطيع أن تفعل شيئاً في هذا الشأن»

ونظر هال إليها في دهشة.

«ألا تشعرين أن من واجبه البقاء معك؟»

ومن الطريقة التي تكلم بها خمنت جين أنه كان يعلم أنها ليست ... لم تتزوج منذ فترة طويلة.

«إن كلا منا يحتاج إلى فسحة. إن ليس يخرج وحده عندما يكون لديّ عمل»

ولم يكن هذا صحيحاً لأن جين لم تكن تعمل في الحقل منذ أن أصبحت سكرتيرة سكوت!

«أوه... حسناً... دعينا ننسى زوجك ونستمتع بالأمسية»

والآن عندما كانا يقفان بجوار السور اقترب منها قليلاً ووضع ذراعاً حول كتفيها. كانت على وشك أن تخطو بعيداً عندما لمحت سكوت وتانيا يأتيان نحو المكان الذي تقف فيه مع هال. وبدلاً من أن ترفض هال رفعت وجهها إلى أعلى بإغراء وكأنها ترحب بعناقها.

ومر سكوت وتانيا على بعد أقدام قليلة منهما. وكان من المستحيل أن يخطئها المشهد العاطفي القصير.

وفكرت جين، إن هذا سوف يضع سكوت في مكانه الحقيقي بحيث يكون رئيسها فقط ولا شيء أكثر من هذا.

على أنها لم تكن مستعدة لما قاله هال في صباح اليوم التالي عندما وصلت إلى منزل هريكورد في السيارة الصغيرة التي لم يترك سكوت في أن يفحصها

بشراقتها. ورآته واقفاً في الشرفة وهي توقف السيارة في نهاية الشارع الطويل كان يحدق ساهماً في الملعب الى بقعة معتمة تنمو فيها الأزهار الزاهية تحت الأشجار الباسقة، وزكية الرائحة.

ولكنه أدار رأسه ببطء عندما شاهد السيارة تتوقف، ووجهت اليه [illegible] تحية الضيافة، وألقت تحية صباح مشرقة ولكنها لم تتلق أكثر من إمالة صغيرة رداً على هذا.

وللحظة كتمت تبها أنفاسها ووقفت أسفل سلم الشرفة وهي تنظر اليه. وتأثرت بسحره وحتى النفور الذي بدا عليه كان قوة هائلة زادت من انجذابها اليه.

«أريد أن أتحدث معك»

قال هذا بنبرة ناعمة جداً أثارت أعصابها، وصعدت السلم ببطء ثم سألت:

«هل تريد أن تحدثني؟»

كانت تعرف بغريزتها أنه على وشك أن يشير الى الليلة الماضية مما جعل لون وجهها يتغير.. وضاقت العينان الزرقاوان اللتان [illegible] بفهم عميق وتركيز [illegible]، ثم كان مسيطراً متسلطاً وهو يقف هناك مثل قاضي.

«عن الليلة الماضية.. ما الداعي لهذا النوع من العرض؟ وكيف سمحت لشخص غريب تماماً عنك بأن يطارحك الغرام؟»

قال هذا بنبرات هادئة على نحو خطير... وصاحت:

«لم يكن يطارحني الغرام»

«كان التصرف يثير الاشمئزاز بما فيه الكفاية، لو عرف الناس أنك غير متزوجة، ولكن المفروض أنك متزوجة»

كان الاتهام يكمن في صوته وفي النظرة الباردة القاتلة التي وجهها اليها، واستمر يقول:

«إنني لا أسمح بأي نوع من التشهير ينتسب الى الموظفين عندي... وإذا تصرفت بهذه الطريقة المبتذلة ثانية فإنني لن أتردد في الاستغناء عن خدماتك وخدمات

أخيك»

وحبست أنفاسها وتحررت بإحساس شديد، ورغم ذلك لم تكن تشعر بالخجل أو الخوف من أنها عاجزة عن الرد.. فقالت:

«لم أتصرف بطريقة مبتذلة، ولم يرنا أي شخص..»

وناقضها ببرود قائلاً:

«أنا رأيتكما، كذلك [illegible].. إذا لم تتخذي الحيطة فإنك ستصبحين انسانة مشهورة بين شبان باربادوس الذين يأملون في إقامة علاقات غرامية»

واشتد غضبها وصاحت:

«أي... ما هذا الذي تقوله؟»

«إنه جريمة...»

هكذا ذكرها باقتضاب وعنف، ورمقها بنظرة احتقار [illegible] أثارت غضبها. ثم قال:

«إن القيل والقال ينتشر بسرعة»

وردت بصوت مرتعش:

«لن يقول أحد شيئاً عني»

«أخشى أن تكون الأقاويل قد بدأت بالفعل»

«لا أصدقك»

وذكرها ببرود قائلاً:

«لقد عشت على الجزر فترة أطول منك، وأعرف ماذا يحدث عندما تتورط امرأة — وخاصة اذا كانت متزوجة — في مغازلات مع رجال مثل [illegible]. هل شاركتموه

هل سمعت زوجتك؟»

هكذا سألته وهي تحيد عن الموضوع الرئيسي.

ورد باختصار وبلهجة مؤكدة:

«نعم له سمعة رديئة»

كان شعورها بالصدمة أكثر من الغضب. وأحست بقدر قليل من الرضى عندما علمت أن «هال» له سمعة سيئة لأنها الآن تستطيع استغلاله بدون أن يكون هناك أي خطر من شعوره بالألم.

«تستطيع استغلاله كما أردت... لا بد أن يرضخ «سكوت» كخرافي في مكانه كرئيس لها في العمل.. ولن يمانع في مسألة اتاحة علاقة غرامية معها عندما يظهر رجل آخر في الصورة.

وقالت بعد صمت شابه التأمل:

«أعرف تماماً أنك تستطيع فصلي، ولكنني لا أعتقد أنك ستفصل أخي أيضاً. إن مثل هذا التصرف لن يكون عادلاً طالما أنه لم يفعل شيئاً يستحق عليه الفصل كما أنني...»

وسكتت «جين» ورمقته بنظرة جانبية، ثم أضافت:

«متأكدة تماماً من أنك لن تتصرف إطلاقاً على هذا النحو غير العادل...»

وبدت على شفتيه ابتسامة باهتة لا مرح فيها وقال:

«انك انك لا تعرفينني جيداً»

ولاحظت تعبير وجهه والتمعت بأنها تغلبت عليه. كانت تستطيع أن تذكره بأنه مدح ليس في أكثر من مناسبة، وتذكره بقوله ان «ليس» سيكون دعامة للشركة. ولكن تحذيراً داخلياً دفعها لأن تتوقف لحظة وتفكر في رد الفعل المحتمل. وقررت أن السكوت هو أفضل سياسة، طالما أن اثارة غضبه كان آخر شيء تريده. ولذلك اكتفت بالقول:

«لقد ذكرت مرة أنه من الحكمة الاحتفاظ بالموظف الجيد.»

ورفت أجفان الرجل وسأل «سكوت» بنبرة ناعمة جداً:

«هذا الذي تحاولين عمله بالضبط يا جين؟»

«لا أعرف ماذا تقصد»

«لست غبية»

ثم أضاف:

«لن تفيدك أية ضربة مضللة يمكن أن تعديها، اما أن تتصرفي بطريقة لائقة واما أن تتحملي العواقب»

وبدا الآن رئيس العمل الصارم الذي لا يبالي لم يتردد في التأكيد بأنها تدرك تماماً سيطرته عليها.

«ان حياتي الخاصة لا شأن لها بوضعي كموظفة عندك»

رفضت الاستسلام بعد قرارها أن الطريقة الوحيدة للانتصار على «سكوت» في اللعبة التي يلعبها هي أن تتركه يعتقد أنها وجدت لنفسها شاباً. وقررت أن تضيف قائلة:

«وانني.. أستلطف «هال» جداً»

وكررت عبارتها بعنف

«مستلطفته! هل تقولين انك تنجذبين الى شخص عابث مثله؟»

وقالت بغمارة بريئة عندما قالت:

«يبدو أنك تنسى يا «سكوت» أنك شخصياً يمكن وضعك في قائمة العابثين»

وزم شفتيه وسمعته يصر بأسنانه، وقال محذراً وغضبه يغلي تحت السطح:

«كوني حذرة جداً.. لا أزال رئيسك في العمل»

وأحنت «جين» رأسها لم يكن هناك فائدة من محاولة الجدال مع شخص يستطيع الفوز عليها في كل مرة. كان أمراً لا يصدق أنها انتهجت سلوكاً متعالياً معه في يوم من الأيام.

«هل تصر على ألا أرى «هال» ثانية؟»

«انك معرضة لرؤيته ثانية، فهو يحضر كل حفلات نادي اليخت، ومن البديهي أنك ستحضرين كثيراً منها أيضاً، انني أطلب منك فقط التصرف بطريقة مهذبة وأن تتذكري أنك متزوجة»

ونظرت اليه بدهشة وقالت:

«أتذكر أنني متزوجة... إنك تحاول في الواقع أن تقنعني، أن تمنعني من أن أجد لنفسي شاباً»

وذكرها بعنف قائلاً:

«أنت نفسك التي اخترت القيام بدور المرأة المتزوجة، وأنا أريد أن تتذكري هذا»

كان غضبه مكبوتاً وواضحاً في تعبير وجهه. وأدركت جين بغريزتها أن الاستمرار في هذا النقاش سوف يسفر فقط عن انزعاجها فلقد كان سكوت مصمماً بلا شك أن تكون له الكلمة الأخيرة.

«تذكري ما قلته لك. وأنا سمعت أنك شوهدت مع شارلتون ستجدين متاعب»

وبرقت عيناها للحظة قصيرة عندما قفز رد إلى شفتيها ولكنها عدلت عن الكلام وبدون أن تنطق بحرف واحد هبطت سلم الشرفة واتجهت إلى سيارتها.

وفي يوم الأحد التالي ذهبت مع باتسيا لتزور سوزان وديفيد، وكان أول شيء أشارت إليه سوزان هو الحفل الراقص في نادي اليخت.

«كنت تستمتعين بوقتك بالتأكيد، لقد قال هال شارلتون لديفيد أنه يريد مقابلتك ثانية»

وابتسمت سوزان وأخذت تلوي أطراف شعرها كعادتها وأضافت:

«أنا متأكدة من أنه سيطاردك رغم أنه يعرف أنك متزوجة»

واحمر وجه جين لم تكن واثقة من أنها الآن تريد شد انتباه هال.

«أعتقد أن له سمعة سيئة»

وأومأت سوزان ولكنها مضت تقول:

«أي رجل ليست له سمعة سيئة هذه الأيام»

وأكمل زوجها قائلاً:

«أو امرأة»

ونظرت سوزان بفضول إلى صديقتها وقالت:

«إن هال ليس أسوأ من أي رجل آخر... هل ستقابلينه»

«لا بأس به»

قالت ذلك بتحفظ وبلهجة توحي بأنها أنهت الموضوع، ولكن كان واضحاً أن سوزان لم تنتبه إلى هذا فمضت تقول:

«يمكن لكثير من الفتيات أن يستمتعن بالاهتمام الذي وجهه لك هال في تلك الليلة»

وأعقب هذا وقفة قصيرة ثم قالت:

«أنا أعتقد يا جين أن الوقت سيحين عندما تقررين أنت وليس أن تكونا مرغمين وتكشفا عن الخدعة»

وطرفت عينا جين عندما واجهت نظرة صديقتها، وبادرتها بقولها:

«وأنت وديفيد، ألا تشعران بالقلق من دوركما في الخدعة»

«كنا نشعر، ولكننا نعتقد الآن أن السيد كنفزلي سوف يسامحنا. لقد أجرينا تحسينات كثيرة جداً هنا حتى أنه في كل مرة يأتي إلى هنا لا يسعه إلا الاشارة إلى ما أنجزناه. يبدو أن الشركة كانت مهملة على نحو محزن قبل أن يشتريها. لقد عين السيد سينكلير الذي يعتبر رجلاً ممتازاً في اختيار هؤلاء الذين يجيدون إدارة الفنادق ولذلك قرر تعييننا وتعيينكما»

«هل يأتي السيد كنفزلي إلى هنا كثيراً»

«نعم... وهو يتكلم عن نيته في التوسع ويفكر في إقامة شاليهات خاصة للعائلات فوق هذه الأرض الفضاء. ستكون رائعة وهي محاطة بكل هذه الأشجار والشاطئ، لا يبعد عنها إلا خطوات»

«نعم... وعندئذ سيزداد عملكما ومسؤوليتكما»

وأومأ ديفيد برأسه ولكنه بدا سعيداً جداً بالفكرة، وقال بصوت فيه نغمة واضحة من الفخر:

«سنصبح واحداً من أكبر الفنادق على الجزيرة، وسوف نتوسع في تعيين الموظفين

بالطبع»

«لا بد أن السيد كنغزلي يقدركما تقديراً كبيراً»

هكذا تمتمت جين مشيرة الى ما قالته سوزان لتمنعها عن السؤال عن أن يسكنها سكوت لاشتراكها في الجريمة التي سببت متاعب كثيرة. كما تعبأت جين في أول الأمر لنفسها أسفاً، ولكنها الآن تشك في أنها تسبب متاعب كثيرة لأخيها ليس أيضاً لأنها رأته من كثب مع جوين ولاحظت أكثر من مرة تقطيبة سريعة كلما طرأت فكرة رحيل الفتاة.

«انه رجل يقدر الجهود وهو طيب جداً»

وبدت الدهشة على وجه جين وقالت مرددة

«طيب»

«طبعاً طيب.. لا بد أنك لاحظت طيبته فأنت تعملين قريباً جداً منه كان ديفيد يقول أنك لا بد أن حصلت لنفسك على وظيفة من أكثر الوظائف الجذابة على الجزيرة لقد قلت أنت نفسك انه يعطيك أجازات كثيرة. وقد صحبك بنفسه الى الفندق مرة عندما أخبرته أنك لم تتناولي الغداء»

«انه يعطيني أجازات حتى يستطيع الذهاب الى سان فالنتاين حيث كان يقيم»

هكذا أخبرتها جين بمرارة بما فيها الجفاف فجأة فقد كان واضحاً تماماً أن عجرفة سكوت وسلوكه الشنيع تطبق عليها فقط

وقالت سوزان وهي تلوي أطراف شعرها ساهمة

«لا يزال عنده منزل هناك ولكنه يعرضه للبيع. انه يذهب الى هناك لأن صديقته هناك. لا بد أنك قابلت الآنسة بونسول»

وقالت جين مترددة

«نعم قابلتها يبدو أنك قابلتها أيضاً»

«هذا صحيح.. انه يحضر معها هنا أحياناً لتناول العشاء»

«هل تعجبك»

وتجنبت جين عيني سوزان وهي ترد السؤال خشية أن يكشف تعبير وجهها عن مشاعرها نحو سكوت.

وقال ديفيد وهو يضحك

«نعتقد أنها جميلة ولكننا لسنا متأكدين اطلاقاً أنها الفتاة المناسبة للسيد كنغزلي، نعتقد أنه بحاجة الى فتاة أكثر نعومة لأنه هو نفسه ناعم»

وهزت جين رأسها غير مصدقة وقالت:

«لا أستطيع اطلاقاً أن أعتبر السيد كنغزلي ناعماً»

وقالت سوزان مصححة وهي تنظر الى زوجها

«ليس ناعماً بالضبط. انه ودود... ولطيف»

ودود... ولطيف... وطيب.. الكلمات التي قالتها سوزان كررت نفسها مرة تلو المرة في ذهنها، بينما تدخلت صورة سكوت التي تعرفه لتكذب أي شيء له صلة ولو بعيدة بالود واللطف والطيبة!

كان الجانب الذي أظهره لجين صلفاً قاسياً، وسلوكه دائماً سلوك صاحب العمل، ولم يكن طيباً بالتأكيد، بالعكس كان متعالياً متسلطاً يبحث عن أخطاء في عملها وينتقد سلوكها حتى وهي لا تعمل

وتكلمت جين أخيراً مدركة أنهما ينتظران تعليقاً منها وقالت

«انكما تدهشانني عندما تقولان إنه لطيف. انني لم ألحظ ذلك»

«ألا تستلطفين السيد كنغزلي»

«لا أبالي به»

وأعقب ذلك صمت طويل، وتبادل ديفيد وسوزان النظرات أكثر من مرة، وعندما تكلم ديفيد أخيراً عن الموضوع ينتقل الى آنا وهل هي مناسبة أم لا للسيد كنغزلي، ومضى يقول:

«لا شك أنها تعتبر دعامة من الناحية الاجتماعية، ولكن لا أعتقد أنهما متناسبان تماماً»

وتساءلت جين ترى ماذا سيقولان لو أنها ذكرت لي أنا هنا صديق آخر صديق لا يعترض عليه سكوت إطلاقاً.. وقالت سوزان:

«لا أعتقد أن السيد كنغزلي يفكر في الزواج منها. إنه لا يبدو لي من النوع الذي يريد الزواج».

وقال ديفيد وهو ينظر إلى زوجته عابساً:

«معظم الرجال يتزوجون في النهاية... إن السيد كنغزلي سوف يسلك طريقنا نفسه».

ورددت قائلة:

«أنت الذي قمت بالمطاردة. لقد قلت لك عدة مرات إنني مصممة على أن أبقى عانساً وأحتفظ باستقلالي».

«ولكنك سعيدة بأنك لم تصبحي عانساً».

«وكيف تعرف أنني سعيدة».

«من تعبير السعادة التي يبدو عليك باستمرار، والواقع أنه لا يوجد وضع يبعث الرضى أكثر من وضع الزواج، إذا أسعدك الحظ ووجدت الرجل المناسب».

ونظر إلى جين وسألها:

«ألا تتفقين معي؟»

«إنني واثقة أنك على صواب. أما عن نفسي فلا أوافق ولا أعترض لأنني لست متزوجة ولا يحتمل أن أتزوج».

وقالت سوزان مؤكدة:

«سوف تتزوجين في يوم ما. إنني أراهن على أن شيئاً سيأتي من حكاية هال هذا.. إذا أحب كل منكما الآخر فلا بد أن تصارحي السيد كنغزلي وتعترفي له. سوف يتفهم ورغم أنه قد يتضايق منكما إلا أنه لن يفصلكما».

واضطرت جين إلى أن تبتسم رغم كآبتها، ما أقل ما يعرف هذان الاثنان، كم يكون أمراً يثير الانزعاج إذا كررت تهديد سكوت مؤخراً بفصلها هي

وليس... تعيرة أن ترى رد فعلهما على أنها قالت فقط إنها تعرف أنه لن يأتي شيء جاد من حكاية هال هذه كما سمتها سوزان، وأضافت:

«إنه ليس من طرازي»

واتسم صوتها بنبرة حسم قطعها واحترمها كل من ديفيد وسوزان، ومع ذلك كان لا بد من قطع الحديث بسبب الظهور غير المتوقع لسكوت نفسه. كانت جين أول من رأى سيارته البيضاء تنساب على الطريق الواسع الذي تظلله أشجار النخيل، والذي يؤدي إلى مدخل الفندق، ولسبب غير محدد شعرت بضيق عجيب من فكرة أن تكون في صحبة سكوت وصحبة ديفيد وسوزان في الوقت نفسه.

«ها هو ذا السيد كنغزلي، يالها من مفاجأة لطيفة»

وكان السرور واضحاً في صوت سوزان.

«ترى ما الذي يريده؟»

قال ديفيد هذا وهو ينهض واقفاً عندما توقفت السيارة تحت شجرة، وأخرج سكوت جسده الطويل من مقعد القيادة، وألقى نظرة بعمق في جين ثم أغلق باب السيارة.

«مساء الخير»

كانت تحيته تشمل الجميع ورداً عليه. ثم أضاف بدون مقدمات:

«أريد التحدث معك على انفراد ياسيد شور حول موضوع التوسع المقترح»

«بالطبع ياسيد كنغزلي، تستطيع التحدث في غرفة مكتبي»

وأعلنت سوزان وهي عابسة

«سوف يظلان هناك حتى موعد تناول الشاي. لقد قال السيد كنغزلي أنه قد يغيب في عطلة نهاية الأسبوع، لا بد أنه غير رأيه»

«تتصوري أنه يصل يوم السبت»

قالت جين ذلك وهي تفكر وتتابع بعينيها الرجلين وهما يدخلان الفندق

REMA

«سيحولك يجعل جاهداً، ربما لأنه أعزب وليس لديه عمل آخر. لقد اشترى ذلك المنزل الجميل، ولكنني لا أعتقد أنه يستمتع بحياة منزلية. إن الرجال غير المتزوجين لا يفكرون في حياة منزلية. واحسب "كنفزل" يذكرني دائماً برجل لا بد أن يتزوج فيكون له زوجة تهتم به وبأطفاله ويهيئ... تلك الترتيبات»

وأنهت ذلك بضحكة صغيرة، وكانت نظرة "سوزان" مركزة على مجالس الفندق والشاطئ، فتنهدت، ولذلك فإنها تغير وجه "جون" الحزين الذي عكس الحلم الجميل الذي عاد ورافقها مرة أخرى!

REMA

٨ ـ الماضي هل يعود؟

الساعة الرابعة والنصف خرج الرجلان من الفندق لينضما إلى الفتاتين على الملعب. وكانت "جون" لا تزال ترتدي الشورت الأبيض الذي استعارته من "سوزان" والتي كشفت عن ساقيها الجميلتين السمراوين، وحامت نظرة "سكوت" حولها قبل أن تستقر على وجهها. كانت تجلس مسترخية على كرسي في الحديقة بعد لعب التنس، وهي تشعر بسخونة، وتعرف أن شعرها غير منسق. وطارت أفكارها إلى "أنا" التي تبدو في أبهى صورة دائماً، وفكرت "جون" أن "سكوت" لا بد أن يعقد مقارنة بينهما، ولكن عندما لحقت عدم الاهتمام الذي حل محل الاهتمام البسيط الذي أبداه منذ ثوان قليلة اعتقدت أنه لا يهتم على نحو يكفي لعقد المقارنة.

وقال مخاطباً "سوزان" أكثر من "جون":

«هل لعبت جيداً؟»

وأومأت برأسها وابتسمت وهي تقول:

«جيداً جداً ... "كنفزل". أشكرك... إن "جون" تلعب بمهارة فائقة»

«صحيح؟»

ومرة أخرى لاحت هذه النظرة الخاطفة واستطرد:

«إذن لا بد أن ألعب معها»

وصاحت جين رغماً عنها:
«أوه... كلا... لا أريد أن ألعب معك.»
ردّ وهو يرفع حاجبيه:
«لم لا؟ إنني لاعب مهارة متوسطة، أؤكد لك.»
كانت واثقة من أنه يكذب، وقالت بدون تفكير:
«أعتقد أنك ستشعر بالملل من اللعب معي.»
«من اللعب!»
قال ذلك بنبرة رقيقة وظل ابتسامة يلوح على شفتيه، وبدا عليه أنه نسي الشخصين الآخرين الموجودين لا أصدق.
«أؤكد لك يا عزيزتي جين أن اللعب معك سوف يمدني بسعادة بالغة.»
وتبادل ديفيد وسوزان نظرات سريعة، واحمر وجه جين ورمقت محدثها بنظرة غاضبة، وشعرت بارتياح كبير عندما لطف ديفيد الجو وقال إنه يجب على السيد كنتزل أن يثبت ذلك. كانت محاولة ضعيفة ولكن جين شعرت بالامتنان نحو ديفيد. فالملد كان تصرفاً سيئاً من سكوت أن يخاطبها باسمها الأول بدون شرائه الرقيقة، وتركيزه اللطيف، ولكن أتزكد على الكلمتين الأخيرتين.
«نستطيع أن نلعب كلنا سوية.»
هكذا قالت سوزان ولكن سكوت تجاهل ذلك، وأدركت جين فجأة أن صوته قد وضع سوزان في مكانها كموظفة عنده.
وسأله ديفيد:
«هل ستبقى لتناول الشاي؟»
هز سكوت رأسه وقال:
«يجب أن أذهب. سأراك ثانية في بداية الأسبوع لنقرر البت في الإصلاحات. يمكن بناء الشاليهات بدون أي تدخل في إدارة الفندق، وسنترك تعديلات المبنى الرئيسي

حتى نهاية الموسم.»
وأومأ ديفيد برأسه، كان واضحاً أنه سعيد جداً بالتصميمات السريعة التي ستجرى. قال:
«أعتقد أن بناء شاليهات فكرة رائعة، فستطيع العائلات أن تستمتع بحرية كاملة، وتستمتع في الوقت نفسه بكل تسهيلات الفندق وبينها الملعب.»
وأومأ سكوت بطريقة آلية. فقد كان اهتمامه كله موجهاً الآن إلى جين وأخيراً قال، وكأنه وصل إلى قرار مفاجئ:
«تستطيعين أن تأتي معي يا جين، فلدي أشياء أريد مناقشتها معك أيضاً.»
«أنا!»
قالت ذلك وهي تدرك تماماً دهشة صديقتها من هذا الطلب غير المتوقع، طلب؟ كان أمراً كما اتضح ذلك من تعبير عيني سكوت، وأضافت:
«سيارتي هنا.»
«يمكن تركها، سوف أرسل شخصاً في الصباح ليأتي بها إلى كوريل فستلز.»
ولم تبد جين أية حركة فورية فقال بحدة:
«يمكنك أن تذهبي الآن وتغيري ثيابك.»
ونهضت في الحال وهي تتذكر شعورها بالضيق عند وصول سكوت لأنها عرفت بدون أن تدري أنه سيقول شيئاً يثير حرجها.
وعندما عادت كان سكوت وديفيد يقفان إلى جانب سيارة سكوت بينما سارت سوزان ببطء نحو جين، وأخذتها بجوار حوض رائع من النباتات الاستوائية.
«ألم يكن السيد كتزل غريباً؟»
هكذا قالت سوزان بشيء من التردد، فقد شعرت أن هناك شيئاً غير عادي في العلاقة الموجودة بين جين ومخدومها.
«تتصوري أنه رتبك اليوم، يوم الأحد من الواضح أنه لا يتوقع منك أن تذهبي

ولدي بعض الأعمال.»

كان واضحاً أن سوزان تستغضب ولكن جين ساعتها متنبهة تماماً من فضولها، وأجابت جين بصراحة:

«ليست لدي أية فكرة عن السبب الذي يريدني من أجله.»

وسمعت سوزان تقول:

«كيف يطلب منك أن تتركي سيارتك هكذا! وكيف ستذهبين إلى منزل تريفوريو في الصباح؟»

«أستطيع أن آخذ السيارة التابعة للفندق.»

«نعم... تستطيعين.»

«جين!»

كان النداء مفاجئاً آمراً.

«إنني في انتظارك.»

ووجدت جين نفسها تجري نحو السيارة وبادرته قائلة:

«آسفة...»

ولكن سكوت قاطعها قائلاً:

«لا أتوقع من الموظفين عندي أن يجعلوني أنتظر. ادخلي السيارة.»

كان صوته الآن صقيعياً، وعيناه صارمتين مثل الفولاذ، ولكن سلوكه تغير بينما التفت إلى ديفيد مرة أخرى وقال:

«كان أصيلاً ممتعاً تماماً.»

وابتسم إلى سوزان التي وصلت لتوها وقال:

«إلى اللقاء يا سيدة شون.»

وبالعادة إلى ديفيد جلس في مقعد القيادة، وبعد ثوان كانت السيارة تنطلق متجهة إلى الطريق. وبعد فترة قالت جين وهي ترتعد:

«إن سلوكك معي أثار دهشة سوزان وديفيد.»

«فلماذا يدهشان؟»

«حسناً... يدهشان من سبب معاملتك لي بمثل هذه الفظاظة.»

ويسرها أن تشعر بقلق جين صوتها مسموعاً، والتفت سكوت بسرعة ونظر إليها وظل مردداً لحظة طويلة، ثم قال بالطريقة الفاضحة نفسها:

«لقد جعلتني أنتظر، وكان لي كل الحق في أن أكون غاضباً بعد... عندما أصدر أمراً إلى أحد الموظفين عندي أتوقع أن ينفذ في الحال. إنك لم تستغرقي وقتاً طويلاً في تغيير ملابسك فقط ولكنك وقفت أيضاً تتحاورين مع صديقتك، وأنت تعرفين جيداً أنني أنتظر.»

«لم أفكر... في أية حال إنه يوم الأحد وكنت في زيارة ودية لأصدقائي.»

«إنني أحتاج إلى خدماتك. تستطيعين أخذ أجازة ساعة أو ساعتين في يوم آخر.»

وقالت جين بهدوء:

«هل تريد أن أعمل شيئاً لك؟»

«بالطبع.»

وقالت بعد وقفة صغيرة:

«ولكننا لن نذهب إلى منزلك.»

ومرة أخرى لفت رأسه ونظر إلى جانب وجهها وقال:

«وما الذي يجعلك تقولين هذا؟»

«إن هذا ليس الاتجاه الصحيح.»

وابتسم ابتسامة صغيرة غريبة، وقال في لهجة تثير الغيظ:

«إنك لا تظنين أن آخذك إلى مكان منعزل بنية... أن أفرض عليك اهتماماتي.»

واحمر وجه جين وسألت:

«هل ستقوم بعمل أم لا؟»

وقال عذراً برقة:

«اعذريني يا جين، لا أريد وقاحة. إنك تعرفين أنني أوصلك.»

وردت قائلة:

«يجب أن آتي هنا عندما تأتي وتأمرني بترك أشغالي والسجاد لي... لا أعرف أين.»

«آمرك؟»

وفكر في هذا لحظة.

«كنت أتصور أنك لاتعترضين على الاطلاق، فأنت واحدة من النسوة اللواتي يستمتعن بالأوامر عندما توجه إليهن.»

«لست كذلك بالتأكيد.»

ورفع أحد حاجبيه وقال:

«ولكنك جعلتني أعتقد أنك كذلك.»

«أنا؟ متى؟»

«منذ مدة طويلة جداً بالعروض. من الواضح أنك لم تتغيري. إنك لاتزالين ترغبين الزواج من خاطب عندما يعين الوقت لتتزوجي.»

«لم أقل أبداً إنني أريد زوجاً طاغية.»

«لم تقولي هذا بالضبط. ولكنك قصدت ذلك. تريدين شيئاً طاغياً يأخذ من جديد.»

وقاطعته في غضب:

«لم أكن أريد ذلك النوع من الرجال، كنت فقط أريد شخصاً لايضيع في هرائه.»

وبعد صمت قال وكأنه كان يتذكر شيئاً ما:

«أعتقد أن قلة من الرجال يفعلون هذا. إنه لايكون رجلاً لو فعل.»

وأطلقت تنهيدة صغيرة وسألته إلى أين يأخذها. فقال ساخراً:

«ماذا تظنين الموضوع أليس كذلك؟ بإمكانك إلى أين نذهب؟ إني أخطط لتناول الشاي، هل يزعجك هذا؟»

وشهقت قائلة وقلبها يخفق على نحو غريب:

«لتناول الشاي؟»

«هل هناك حاجة إلى إظهار مثل هذه الدهشة؟ إننا ذاهبان فقط إلى قلعة سام لورنزو في القمة.»

«إلى قلعة سام لورنزو؟»

«هل تريدين الذهاب إلى مكان آخر؟»

«لم أفكر في الذهاب إلى أي مكان، قلت إنك ستكافئني ببعض العسل للغد.»

«لا أذكر أنني قلت شيئاً مثل هذا، قلت إنني أريد أن أشاركك في بعض الأشياء.»

«حسبت أنها تستحق العمل.»

وتجاهل سكوت هذا وسأل ثانية إذا كانت تريد الذهاب إلى مكان آخر لتناول الشاي فقالت شاكرة:

«كلا، القلعة سام لورنزو ستكون مكاناً لطيفاً جداً.»

وقال لنفسه... لا يوجد أي نقاش إذن!

وعرفت بغريزتها أنه كان يتذكر الوقت الذي تمنيت فيه أن تسيطر عليه، وأنه يعلم أن أنني عادت الآن، وعرفت كان سيقول لها فوراً إنها ستختفي إلى المكان الذي اختارته هو. حسناً فكرت كري أنها لم تعطه الفرصة لوصيته سيطرته عليها. كانا يتجهان نحو الشمال الشرقي وعلى يمينها تلمع الارتفاع الفاتن لمدينة فاكلوين بينما على اليسار امتد الساحل نحو صفحة البحر الأزرق والأفق الذي اندمج فيه، وبعد كنيسة سان جون وقلعة كنيسة سان إليب وما لبثا أن اتجها نحو النزل الملكي المحصن الذي يقع على الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة، حيث كان هدير الأمواج المستمر يقدم موسيقى خلفية للجو شبه السحري للنزل الرائع الراقي، الذي يحتل مكاناً هاماً في تاريخ الجزيرة باعتبار أنه كان في وقت من الأوقات الحصن الحصين للرهبان التيوتون سام لورنزو، الذي كان مع مجموعة من الفئة والحرفيين يحرقون البرابرة ويقتلون ملاحقيهم بعد أن يستدرجوهم إلى الصخور فتصبح معلقة في الأشجار. تلك

المصابيح التي بدت وهي تتأرجح في النسيم أشبه بأنوار فوق سفن راسية في أمان.

كان «سكوت» معروفاً في القلعة التي أصبحت الآن فندقاً سياحياً فاخراً. وسار مع «جين» إلى مائدة في ركن منعزل تطل على منظر الحدائق الرائعة، والمتلألئة بالأضواء كلها.

«لم تعربي عن دهشة كبيرة من طلبي أن تتناولي معي الشاي».

كان «سكوت» في حالة مزاجية جذابة، واتكأ إلى الوراء في مقعده ونظر إليها بإعجاب ولمعة سرور في عينيه.

«طلب؟»

كررت هذه الكلمة بغرابة وهي تسمح بلمحة من المرح تدخل عينيها وصوتها.

«هل هذا ما تريدني أن أسميه طلباً؟»

«أعترف بأنه كان أمراً»

وأحنى رأسه ثم قال:

«وهو كذلك.. كان أمراً»

«وما هو سببه؟»

كانت «جين» سعيدة بأنها تتحدث بهذه الطريقة المرحة مع «سكوت»..

«كنت أريد صحبتك».

وتذكرت «جين» ما قالته «سوزان» بأنه ليست لديه حياة منزلية بمعنى الكلمة. لقد قالت «سوزان» مؤكدة انه يجب أن تكون له زوجة.. زوجة تهتم أساساً به وبأطفاله وبيته.

وتساءلت «جين»، ترى هل كان وحيداً؟ وعندما خطرت لها هذه الفكرة عبر ظل على وجهها الجميل، وراحت تذكر نفسها بأن هذه الحياة هي التي اختارها، وكان يمكن أن يتزوج منذ مدة طويلة لو أراد وقالت أخيراً بشيء من الخجل.

«صحبتي؟»

«نعم يا «جين» صحبتك»

واتسعت القصة الصغيرة التي سحبت عقلها، رغم سعادتها لأن كانت لاتزال تشعر بالندم لما فعلته. لا.. لم تفعله.. وإذا ألقت به بعيداً عن عمد وبدون أن تتوقف حتى تتذكر أنه سيحين اليوم الذي ستحتاج فيه إلى شاهد، وتدرك أنها مندفعة لأن تعطي أي شيء لتسترد ما أبعدته بإهمال

«وها هو الساقي»

قالت قائلة وهي لاتستطيع أن تجد ما ترد به على اعترافه الذي قاله بهدوء.

«يحسن بنا أن نلقي نظرة على قائمة الطعام»

كان يتطلع فيها بتعبير يختلط فيه الحزن بالبهجة، وعندما تلاقت عيناهما ارتسمت على شفتيه ابتسامة فأزالت الحزن وزادت من البهجة.

«أريد فقط شطيرة أو شطيرتين وقدحاً من الشاي»

«هل هذا هو كل شيء؟»

وقال «سكوت»:

«يجب أن تأكلي أكثر فلا بد أنك جائعة بعد لعبة التنس...»

وابتسم الساقي الواقف وكشف عن صف من الأسنان البيضاء القوية.

وأضاف «سكوت»:

«سنطلب لي...»

ثم قال وهو يعيد بصره نحو «جين»:

«إن السيدة تريد شيئاً أكثر.. أحضر طبقاً من أشهى أطباق الحلوى»

وأكلا وشربا الشاي ودخنا، ثم سارا في المنطقة الجميلة التي كانت تمتد حتى شاطئ من أجمل الشواطئ في الكاريبي.

«يجب أن أعود»

هكذا قالت «جين» وهي تتنهد، وبدت عدم رغبتها في الذهاب واضحة في

تغير وجهها ونبرة صوتها:

«سوف يتساءل لويس أين أنا».

ترى هل صور لها خيالها هذا، أم أن تقطيبة ظهرت على جبين سكوت؟

«ستعود إلى منزل عمر يغفوره وتتصلين به تليفونياً من هناك، إلا إذا فضلت الاتصال به من هنا».

ونظرت إليه وهي حائرة

«ألا نعود إلى منزلك؟»

«ليس هناك سبب خاص».

وتمهلت، ولم تجد ماتقوله لدقيقة كاملة، واستمرا يسيران بين الزهور، وأخيراً قالت:

«سوف يتوقع لويس أن أعود لتناول العشاء».

«لايزال الوقت مبكراً على العشاء».

ونظر إليها، وطافت عيناه بوجهها وشعرها وجسمها وأضاف:

«الواقع أنك تستطيعين تناول العشاء معي».

وساد صمت... كانت لحظة متوترة مليئة بانفعالات غريبة عميقة ولكنها غير محسوسة، ويبدأ كل عرق في جسم جين حياً يدرك مدى عمق الوضع، بينما وقفت هي وسكوت ساكنين تماماً بين الجبال العالية، للحدائق الاستوائية، والنسيم العليل القادم من المحيط الأزرق يلفح وجهيهما.

وحاولت جين أن تجعل صوتها مرحاً يتسم بالدعابة، ولكنها تساءلت إذا كانت قد نجحت في إخفاء مشاعرها الثائرة وأعصابها المتوترة عن سكوت.

«هل هذا أمر أم دعوة؟»

«يمكن أن يكون».

«ربما أقرر أن أعصيه».

وقال بفضول متناهي:

«أستطيعين؟ كيف؟»

وعندئذ سرت لمحة من البهجة الساخرة زكتي فمه، وبدت الحيرة في العينين الزرقاوين كما كانت جين تراها في الماضي.

«الآن ياعزيزتي جين من الواضح أنك تريدين تحدياً... ولا أستطيع أن أقدم لك هنا حتى تكوني في بيتي وتحت رحمتي».

وصعد الدم إلى وجنتيها لم تعرف إلى أي حد بدت جذابة في هذه اللحظة بعينيها الواسعتين مرفوعتين إلى وجهه، وأصابعها تتشابك وتتساءل في حركة عصبية صغيرة لم تكن تدري بها إطلاقاً. ومرة أخرى حاولت أن تضفي رنة من المرح على صوتها وهي تقول:

«إن تهديدك لايخيفني، أستطيع التمسك بموقفي».

ورفع حاجبيه وتساءل بهدوء يدعي الدهشة:

«هل هذا عصيان؟»

أجابت وقد استعارت جملته التي قالها منذ لحظة:

«يمكن أن يكون».

«في تلك الحالة دعينا نذهب إلى البيت بدون تأخير»

وعندئذ ضحكت جين، وكانت ضحكة مرحة لم تطلقها منذ فترة طويلة، وركزت عينا سكوت العميقتان على وجهها، وبدا للحظة متحولة أنه لايجد كلاماً، وكانت جين هي التي قطعت الصمت بعد قليل وقالت:

«ما الذي ستفعله إذا رفضت أن أصحبك إلى البيت؟»

وأجاب بجدية:

«إنك تعرفين ياعزيزتي أن لي سلطة عليك».

«هل تجبرني على اصطحابك إلى منزلك؟»

«نعم يمكن ذلك».

وتوقفت، ولكنها انتظرت حتى يستمر في كلامه.

«لا يبدو أنك خائفة من فكرة إجباري إياك على صحبتي إلى بيتي»
وأكملت قائلة:
«لقد دعيت إلى هناك مرات كثيرة»
«بصفتك سكرتيرتي.. ولن أصحبك إلى بيتي اليوم بصفتك سكرتيرتي»
وعندئذ نسيت مرحها وقالت وهي تنظر إلى وجهه بلمحة من القلق في عينيها:
«هل أنت جاد حقاً في اصطحابي إلى بيتك اليوم؟»
«ظننت أنني أوضحت أنني جاد»
«هل تريدني أن أتعشى معك؟»
«تماماً..»
«ولكنني لا أرتدي ثياباً تناسب العشاء»
«لن نتعشى في الخارج»
وبدأت جين تهز رأسها، وتذكرت بقوة الطريقة التي فرض بها عواطفه عليها وأكد أنهما سيجدان متعة مع بعضهما، وبالطريقة التي شعرت بها اليوم لم تكن واثقة إطلاقاً من أنها تستطيع مقاومته بشدة لو مرة أخرى أخذها بين ذراعيه واعتصرها. كانت تشعر بعمق حبها له، وأدركت أن الحذر يجب أن يتغلب على عواطفها حتى لا تقبل دعوته وتقضي السهرة معه في منزل دريكوت وأخيراً قالت:
«يجب أن أعود إلى كورال خيلز»
ونظر إليها متسائلاً:
«ظننت أنك قررت تناول العشاء معي في بيتي»
«لا.. يجب أن أعود إلى كورال خيلز»
هكذا كررت وشاب صوتها نبرة من اليأس.
وهز سكوت رأسه في احتيار، وقد بدا على وجهه تعبير ساخر وذكرها قائلاً:
«لقد قلت تواً أنني أجبرك على تناول العشاء معي»

«كنت تمزح بالتأكيد»
«لم أكن أمزح. ادخلي السيارة ولا داعي لمزيد من الكلام»
وبدأ يسير ثانية، وسارت بجواره، وعندما وصلا إلى حيث أوقف السيارة قالت جين في تردد:
«يجب أن أعود إلى بيتي»
فقال بشيء من الغضب:
«يا آنستي العزيزة. ادخلي السيارة، ولا داعي لمزيد من الجدل»
وأطاعته، ولم تستطع الكلام إلا وهما في طريقهما، وحتى عندئذ لم تزد على القول بشيء من الضعف أنه كان يتعين عليها أن تتصل تليفونياً بأختها وقال:
«اتصلي بها من بيتي»
وساد الصمت بينهما ثانية. ترى ماذا كان هدفه؟ هكذا تساءلت وهي تنظر إليه نظرة جانبية، وتلحظ جانب وجهه الصارم وشعره الأسود الغزير اللامع، وكأنه منحوت بقوة في تلك اللحظة.
وقال لها أخيراً:
«استرخي.. وستستمتعي بالرحلة»
ورمقها بنظرة ورأت ابتسامته الخاطفة، تلك الابتسامة الطفولية التي جعلت قلبها يخفق رغم جهودها في السيطرة على مشاعرها. فلفتت نبرة صوته انتباهها ولفتت جين انطباعاً أنه قد يسمح لشيء من الرقة أن يرهف دافئه، وأدركت وليس للمرة الأولى، أنه لا يزال هناك بقايا من سكوت القديم في شخصيته الحالية، رغم أنه كان يحرص على كبتها.
وقاد السيارة نحو الساحل وشاطئ بالمسبا الرملي، وبدأ الظلام أيضاً في الساعات المبكرة من المساء... واستمر على طريق الشاطئ الشرقي ثم الشاطئ الغربي، وأخيراً وصلا إلى منزل دريكوت وأوقف السيارة بهدوء أمام الباب الأمامي، وفتحه جون قبل أن يستطيع سكوت استعمال مفتاحه، وابتسمت

بمصلحتها الرئيسية للأولاد، واستمعت بينما قال لها سيكورت أنه لم يعرض صيغة العشاء. وردت قائلة:

«سوف نعد شيئاً خاصاً..»

وانصرفت في اتجاه المطبخ.

٩ ـ انت وانا والبحر

قدم العشاء في غرفة المائدة ذات السقف العالي، حيث زينت الجدران بالرسوم، وكان الأثاث قديماً.. وأضاءت الشموع المائدة حيث لمعت الصحون الفضية والشوك والسكاكين والملاعق فوق مفرش مشغول بدقة وروعة. وكانت الوجبة نفسها أشهى ما ذاقته جين في حياتها. وشربا القهوة في الشرفة التي كانت أيضاً مضاءة بالشموع، واستند سيكورت الى وسادة، وراقب جين وهي تحتسي شرابها. وقطع الصمت الطويل أخيراً بقوله:

«أرجو أن تكوني قد استمتعت بالطعام.»

«كان رائعاً.. شكراً.»

«انني سعيد بأنك وافقت على تناول العشاء هنا.»

«اذا تذكرت.. لم يكن لي أي اختيار.»

«ولكنك استمتعت بالاختيار الذي اتخذ لك.»

«انا سعيدة لأنني حضرت. هذا هو ما تريد سماعه. أليس كذلك؟»

«فقط اذا كان صادقاً.»

«انه صادق.»

ورفعت فنجانها الى شفتيها وأحنت رأسها لاخفاء تعبير وجهها.

«يجب أن أذكره.»

وتوجهت جين قبل أن تتكلم لا لأنها وجدت أي خطأ في اقتراح سكوت، ولكن لأن ليس لم يعلم أن سكوت عرف الحقيقة..

«إن ليس سوف يعتبر خروجي معك أمراً غريباً جداً.. عندما اتصلت به تليفونياً وقلت انني آتية الى هنا لقضاء المساء بدت الدهشة في صوته»

ونظرت الى سكوت ترى بعض التعليق، ولكنه انتظر أن تستمر:

«يجب أن تتذكر أنه لا يزال يتصور أنك تعتقد أنني وهو زوجان.. وهو لا يتوقع أن تأخذني منه.. تأخذ زوجته»

وانطلقت ضحكة جافة من شفتي رفيقها، وقال متفكراً:

«ترى هل فكرت في الورطة التي قد تجدين نفسك فيها»

«لم أحب فكرة الخداع، وفكرت فعلاً أنها قد تثير لنا المتاعب»

«ولكنك بالطبع لم تستطيعي التصور الى أي حد قد تثير المتاعب»

«لم أتوقع اطلاقاً أن أجدك هنا»

«ولا كنت قد توقعت»

«بالتأكيد لم أكن لأوافق على الخطة اطلاقاً»

وبدت تقطيبة على جبينه، وقال وكأنه يحدث نفسه:

«إن القدر غريب... لم أتوقع إطلاقاً أن أراك ثانية»

وسكت واستغرق في التفكير، ونظرت اليه جين وقفز الأمل بداخلها ترى ألا يزال يهتم بها؟ بالتأكيد لا....

قالت عندما لم يبد دليل على أنه سيقطع الصمت:

«أعتقد أنه حان الوقت لعودتي. اذا كنت تصر على أن يظل أخي يجهل معرفتك حقيقة الوضع، فلا بد من انصرافي وبغير هذا سوف يؤدي الى أسئلة محرجة»

وخرج سكوت من أفكاره، وهز كتفيه قائلاً:

«سوف يتصور أنني أحد أصحاب العمل الذين لا يؤتمنون جانبهم، في أية حال لن أكون قريباً»

«إن له رأياً عظيماً منك»

«حقاً. رغم أنني أظهرت اهتمامي به؟

ماذا؟»

هكذا رددت وهي تنظر اليه متسائلة، وقد بدا في عينيها بريق غير عادي:

«هل أنت تهتم بي؟»

ونظر اليها سكوت متمعناً، وبدا متيقناً بالشرود، ولكنه فجأة لم يتخل عن سخريته المألوفة، وقال بصوت تشوبه السخرية:

«طبعاً يا عزيزتي جين.. انك تعرفين جيداً أنني أهتم بك. ألم أطلب منك أن تخرجي معي بعض؟»

وتقاعس قلب جين.. كانت تتمنى لو تعرف أي شيء لتسحب سؤالها الذي أدى الى هذا التغيير في سلوكه. وقالت وقد أسفرت كلماتها عن غضب:

«ليس لدي نية في إقامة علاقة خاصة معك..»

وبدا مستحيلاً أنه منذ لحظات قليلة فقط جعل الأمل يتسرب داخلها.. كان سكوت رجلاً عابثاً، وكلما قبلت هذه الحقيقة بسرعة كلما كان هذا أفضل

وقال لها:

«لا تكوني واثقة هكذا يا عزيزتي. اذا عرفت حقاً فانك لن تستطيعي مقاومتي»

واتسعت عيناها.

«يا له من رأي عظيم عن نفسك»

«قلت ذلك من قبل. ألا تستطيعين التفكير في شيء مبتكر؟»

وانتهت جين من شرب قهوتها، وقالت في عزم:

«سوف أذهب»

ونهضت واقفة، ونظر الى ساعته وقال:

«لا يزال الوقت مبكراً»

«ستكون الساعة العاشرة عندما أصل الى البيت»

وهز «سكوت» كتفيه:

«حسناً جداً.. سأعود وحدي»

ولكن في طريقهما إلى السيارة توقف وأخذها بين ذراعيه. وقال وهو يحني رأسه...

«جين...»

«لا...»

وضاعت بقية الكلمات وأبعدها عنه وقال ساخراً:

«كيف تعترضين يا «جين» وأنت لا تقصدين الاعتراض؟»

وقالت في يأس:

«لن أتكلم معك يا «سكوت» بعد أن عجزت عن مقاومتك هل لك أن تعود بي إلى بيتي؟»

وضحك وقال:

«ما أريده؟ إنني أريد أكثر من هذا يا عزيزتي «جين»»

ونظر إليها ورأى الدموع في عينيها فقال آسفاً:

«ومع ذلك سأعود بك»

وعندما وصلت «جين» إلى مكتبها في الصباح التالي تصرف «سكوت» وكأنه لم يقل شيئاً على الإطلاق في الليلة السابقة.. ولم يبد حتى أنه لاحظ توقع حديثها عندما دخلت غرفته لتأخذ رسالة كان صوته غير معبر.. وقررت «جين» تقبله في أية حالة يكون فيها، وأنها لن تنسى من الآن فصاعداً أنها موظفة عنده، وسوف تتصرف وفقاً لهذا. وقال لها فيما بعد أنه سيقضي عطلة نهاية الأسبوع في سان فرنسيسكو، ولكنه أضاف أنه يتوقع أن تطبع بالآلة الكاتبة تقريراً عن مشروعات التوسيع في فندق أنشيل وقال:

«أتوقع أن تكوني قد انتهيت منه عند عودتي يوم الأحد ليلاً»

«سيكون جاهزاً»

كانت تلك بصعوبة، وبما أن الساعة كانت الخامسة وخمسة وعشرين دقيقة الفرقة ركبت سيارتها وضغطت على المحرك ولكنه لم يتحرك.. وضغطت ثانية، ولا حركة. ماذا بها؟ وكان «سكوت» أمام نافذته يراقبها، وأخيراً خرجت من السيارة ونظرت إلى حيث وقف، فخرج إلى الشرفة وسألها:

«ماذا بها؟»

«إنها لا تتحرك»

«هل حدث هذا من قبل؟»

«لم يحدث بها شيء حتى الآن. ولكنني لم أحصل عليها منذ زمن طويل»

وأزاح «سكوت» المقعد إلى الوراء وجلس في السيارة. وبعد لحظة كان ينظر إليها بنوع من المرح وقال:

«عزيزتي إن السيارات تتحرك عادة عندما يكون بعض البنزين في الخزان»

«ألا يوجد فيها بنزين؟»

«تبدين مندهشة.. هل كنت تعتقدين أن فيها كمية كبيرة؟»

«حسناً، لم أفكر في ذلك»

وسكتت، بينما هز «سكوت» رأسه بحركة خفيفة من الاشمئزاز:

«المرأة لا تفهم شيئاً حيوياً جداً مثل البنزين.. هل تدركين أنه ربما توقفت في الطريق؟»

«نعم.. من حسن الحظ أن هذا لم يحدث»

«سآخذك في سيارتي إلى بيتك، وسوف أشتري صفيحة بنزين على حسابي تستطيعين ركوب سيارة الفندق لتأتي إلى العمل في الصباح»

كان «لس» يقف أمام الفندق يتحدث إلى شخص، واستدار في دهشة عندما رأى سيارة «سكوت» تقترب بعد أن خرج «سكوت» و«جين» من السيارة.

«هل حدث شيء؟»

«لا.. زوجتك نسيت وضع أي بنزين في سيارتها»

والتفت نظرة سكوت بعين جين وهو يعود متعمداً واستطرد:

«وكذلك كان لا بد أن أمر بها في سيارتي»

ونظر إليه ليس بطريقة غريبة وقال:

«لو اتصلت بي تليفونياً لأرسلت لك بعض البنزين»

ورد سكوت بدون اهتمام:

«لم يكن الأمر يستحق إزعاجك. لذا إن كان عندك صفيحة بنزين أستطيع أن آخذها»

«سوف أكلف شخصاً بإحضار صفيحة»

وانصرف ونظرت جين إلى سكوت وقالت بلهجة عدائية:

«ما الذي تحاول أن تفعله؟ لقد جعلت ليس يشك الآن»

وضاقت العينان الزرقاوان وكذلك الابتسامة التي كانت تحاول أن ترتسم على شفتيه وسألها:

«كم مرة يجب أن أذكرك بأنني رأيته؟»

«اقتربي»

«اختاري كلماتك التي تريدينها. يجب أن تحترميني... وإلا»

«لقد بدأت أتعب من تهديداتك يا سكوت. ما الذي تستطيع أن تفعله بالضبط؟»

«أفصلكما. وأرسلكما إلى إنكلترا»

وأنقذها ليس هنا. فقد كان يحمل ما قال. والتفتت معتذرة وأضافت كلمة شكر لأنه أوصلها، وقال:

«لا داعي للشكر»

ثم استدار ليعود أدراجه حاملاً صفيحة سعة غالون بنزين وشكره سكوت ومشى إلى سيارته وانطلق بين صفين من الأشجار على جانبي النهر المؤدي إلى المزرعة.

والتفت ليس وهو يلتفت إلى جين:

«إن شيئاً غريباً يحدث. إن ما كان يدور بينكما أنتما الاثنين ... بعد حفلة الشاي؟»

«لا شيء من هذا... إنني لم أحب سخريته. لذلك رددت عليه هنا كل ما في الأمر ونسيت أنه عدوك»

«لا أستطيع أبداً أن أنسى ذلك. إنه يذكرني به دائماً»

وبدت نافذة الصبر من ليس ومن سكوت

«هو يذكرك؟»

وأدركت جين الآن فقط أنها نسيت ثانية أن تكون لبقة وقالت:

«عندما أرد عليه يذكرني... نعم»

وهز ليس رأسه مفكراً وقال بامتعاض:

«إنه وضع مضحك. القنبلة سوف تنفجر بعد قليل. أستطيع أن أراها تكتك»

«ماذا تقصد؟»

«يجب أن يعرف سكوت الحقيقة»

«أننا لسنا زوجاً وزوجة؟»

«بالضبط»

«وهل هناك أي سبب معين لتقول ذلك؟»

«هناك سببان»

«أولهما...»

«أولاً أنت وسكوت، لا علاقة من إنكلترا يا جين وهناك شيء ما يدور بينكما ولا أعرفه. أعتقد أنه سيكون سعيداً جداً إذا عرف أنك غير متزوجة. أما بالنسبة لك، فإنني لست واثقاً أبداً من أنك لا تهتمين به كما قلت لي»

ولم تحاول إنكار هذا. وسألته وهي ترمقه بنظرة:

«والسبب الثاني؟»

تردد لحظة طويلة. وبدت تقطيبة على جبينه ثم قال أخيراً:

«انها جوين»
«جوين، هل تستلطفها؟»
«أكثر من استلطاف يا جين»
وقالت جين بهدوء:
«انني سعيدة يا ليس. لا تقاطعني لتقول انك لست متأكداً من أن مشاعري متبادلة. لقد عرفت أن جوين تهتم بك»
وابتسم بهدوء.
«كيف؟»
«سمعتها تقول انها يجب أن ترحل بسببك. اعتقدت أنها وقعت في غرام رجل متزوج»
«هل سمعت هذا؟ ومع ذلك لم تشيري اليه»
«لم يكن من النوع الذي يشير اليه المرء»
«كان يمكن أن يبعث الراحة الى نفسي»
«وكيف أستطيع أن أعرف أنك مهتم بها هل فكرت فيها في وقت ما؟»
«كنت تعرفين أنها تهتم بي عندما سألتك اذا كان لديك أية فكرة عن سبب رغبتها في ترك العمل»
«نعم، كنت أعرف»
«حسناً، كانت حيلة منك ألا تخبريني»
«لم أكن في وضع أخبرك فيه. لم تكن لدي أية فكرة أنك مستعد أن تعترف لسكوت بكل شيء»
وخطر لجين فجأة أنه عندما يعترف ليس بكل شيء فانها نفسها سوف تتحرر من سيطرة سكوت عليها التي كان يروق له أن يذكرها بها دائماً.
واعترف ليس قائلاً:
«لقد مررت بعذاب أليم لم أكن أريد أن ترحل»

«لكنك لم تلمح لها»
«كيف ألمح لها وهي تعتقد أنني متزوج؟»
وهزت جين كتفيها وقالت:
«لا تنظر الي وكأنني الملومة على ذلك. أنت الذي فكرت بظهورنا كزوجين»
وقال في لهجة ألطف:
«أنا آسف يا جين. انني مرتبك. أرى... كنت تشكين منذ البداية في أن الأمور ستسير بسهولة. ولكن هذا ليس مهماً الآن. المهم أن تمنع جوين من مغادرة كروال غيبار. لا أريد تحمل مشقة السفر الى انكلترا بعدها»
وابتسمت جين وقالت:
«هل كنت ستفعل ذلك؟»
«بالتأكيد»
وبعد لحظة صمت أضاف:
«هل عندك أية فكرة عما سيكون عليه موقف سكوت اذا عرف بأمر خداعنا؟»
وهزت كتفيها بلا اهتمام. ولكن هذا الخداع الجديد كان يزعجها مثل الآخر. شعرت أنه يجب عليها أن تكون صريحة مع ليس فوراً... ولكنها تذكرت أمر سكوت بأن تظل صامتة.
«ليس عندي فكرة... ولكن سوزان ودينيد يعتقدان أن سكوت لن يغضب كثيراً اذا عرف»
«سوزان ودينيد؟ وكيف عرفت أنهما لاحظا احتمال اعترافنا بالحقيقة؟»
«كانا يتجادلان حول هل شارلوت... ويبدو أنهما يعتقدان أنك أيضاً سترغب في الكشف عن الحقيقة»
ولزما ليس ومضى يخبر جين أن ديفيد جاء يوماً وعندما لاحظ أن ليس يتحدث مع جوين قال:
«انها فتاة لطيفة... يبدو أنك معجب بها»

وابتسمت جين مطمئنة.. لابد أنه هو وسوزان استنتجا أنك ستضطر الى اخبار سكوت بالحقيقة

«يبدو ذلك»

«هذا الطفل هل يعني شيئاً لك؟»

وبدأت تهز رأسها وقال ليس.

«ولماذا تبدين واثقة الى هذا الحد مهما أنكرت يا جين فان هناك رجلا واحداً في حياتك»

واحمر وجهها وبقي يقول

«لم تخبريني الآن عندما قلت أن شيئاً ما يجري بينكما ولا أعرفه ولأن سكوت سيكون سعيداً انا عرف أنك أختي ولست زوجتي»

وتكلفت أخيراً تتذكر ما قاله يوم أن سكوت لا يهتم بها وأنه بالتأكيد لا يهتم بالزواج.. وأضافت

«يقول انه يستمتع بكل شيء بدون زواج الى جانب أن ألفا موجودة»

«انه يتسلى بها فقط»

«كان سكوت رجلاً غريباً يعتز بالأخلاق»

قالت ذلك والألم الواضح يبدو على وجهها، ثم بلت هذا أشقاها الذي قال:

«حتى رغمته أليس كذلك؟ فالكبرياء لرجل مثل سكوت أمر هام جداً، لا بد أنه كرجل لا تعجبه يداه»

وهزت جين رأسها بحزن وقالت معترفة:

«بالضبط ذلك»

«ومع ذلك لا أظن ستعد في أنه لم يعد مهتماً بك، ما عليك إلا التفكير في سلوكه.. أولا قرر أن يأخذك سكرتيرته»

«كان هذا أمراً طبيعياً فقد كان يعرف أنني أستطيع تأدية العمل ولم يكن هناك شخص آخر يعينه في هذه الوظيفة»

وقاطعها ليس هذا وسألها بصراحة:

«ألا تحبين الاعتقاد بأن هناك سبباً آخر لتعيينك في وظيفة سكرتيرته؟»

«نعم يا ليس أحب الاعتقاد بهذا، ولكن لم يكن هناك سبب»

«ما علينا الا أن ننتظر ونرى..»

وأنهيا الموضوع

كان هال عند كلمته عندما قال انه يريد رؤية جين ثانية، وفي مساء أحد الأيام حضر ليتناول العشاء ويرقص في حفل أقيم في كورال كيبلز

وفي جو رائع تناول جين وهال العشاء ورقصا وفي منتصف الحفل وصل سكوت وحده وراح ينظر في كل اتجاه وأخيراً وجدت عيناه ما كانتا تبحثان عنه، وبخطواته الرشيقة وصل الى المائدة التي جلس حولها جين وهال

«مساء الخير يا جين.. وهال»

«مساء الخير.. تفضل معنا»

وكانت دعوة هال فاترة ونظر اليه سكوت بتعال وأجاب:

«يسرني هذا»

وركز عينيه على جين التي كانت تحرك مقعدها قليلا حتى تفسح مكاناً للكرسي الاضافي حول المائدة الصغيرة وجلس سكوت وراقب الجميع رقص الليمبو عدة دقائق

وحضر ليس وانضم اليهم حول المائدة وعندما انتهى رقص الليمبو وقف سكوت ودعا جين للرقص ولمحت نظرة أخيها وتقطيبة هال أيضاً وهي ترقص بين ذراعي [illegible] وما كادا يبتعدان عن المائدة حتى قال بحدة:

«يبدو أنك نسيت أمري»

«أمرك؟»

«قلت لك أن تتصرفي بطريقة مهذبة بخصوص هال شارترو»

وسألته بانفعال:

«وما الذي فعلته؟»

«كنت أجلس معه حول مائدة مخصصة لشخصين، وكان رأسانا متلاصقين مثل عاشقين حتى رأيتني.»

وشعرت ... جون ... بأصابعه على ظهرها وهي تغرز فيه مثل قضبان من حديد، وأنكرت بحفظ وكبرياء قائلة:

«هذا ليس صحيحاً كما تتحدث، وكان لا بد أن نقترب من بعضنا لأن الأصوات عالية حولنا.»

«فالمفروض أنك متزوجة، ولذا كان لا بد من جلوسك مع أي رجل فالمفروض أن يكون ... ليس.»

«كان مشغولاً.»

«قلت أنك ستطلقين هذا الشخص ... فيليب... هل هذا صحيح؟»

وصمتت لحظة ثم قالت:

«نعم.»

وفكرت: لا أمكن التراجع الآن، هذا سيضع نهاية لكل محاولات التودد.

«ولا تهتمين بأن له سمعة سيئة؟»

«معظم الرجال لهم سمعة. قلت أنت نفسك أكثر من مرة أن هذا لم يعد شيئاً هاماً وأن الناس ليس عندهم مثل عليا.»

وأثرها قائلاً بحدة:

«ولكن شدك أنت مثل... أو هكذا قلت لي.»

«لا أقول أنني سأذهب إلى حد الزواج من ... فيل...»

ومرة أخرى شعرت بالأصابع الصلبة تضغط على ظهرها.

«لا تستطيعين والأمور على ما هي عليه.»

«كلا...»

هل تقول بأن يتوقع اعترافاً من أختها قريباً، سوف تجد متعة في مراقبة رد

فعله وتقول له أنه لن يكون في وضع يفرض فيه إرادته عليها بعد أن تتخلص من سيطرته. على أن الاعتراف كان من شأن ... ليس وحده فآثرت ... جون ... الصمت ولكنها قالت:

«إذا كنت تفكر في أن تتسلط علي وتمنعني من مقابلة ... فيل ... فلا تحاول. لقد بدأت أتعب من أوامرك.»

ورفع حاجبيه ... ليس بعجرفة وإنما بدهشة وقال في تهكم:

«إنك تدهشينني، من الواضح أنه حدث بعض التغيير. أذكر...»

وردت بقليل:

«أوه... أرجوك انس كل هذا الهراء.»

«إنه كان هراء؟»

وبدا تعبير غريب في عينيه وأضاف:

«تعترفين بذلك بعد كل هذه المدة؟»

«لا أريد أن أخضع للسيطرة وأتلقى الأوامر. إن أية امرأة في كامل عقلها لا ترضى بذلك.»

«هو كذلك... وهو كذلك.»

وبعد أن ثبت مرفقها قادها بعيداً عن الضجة ناحية الشاطئ، التفت الشاحب وقال:

«لا داعي لأن تعصبي ... بيستري ... من أجل هذا.»

«لست عصابية ... بيستري ...»

«هل تنكرين أن مزاجك معتل؟»

وتحولت نظرة التهكم إلى نظرة تسلية وقال:

«إنك فتاة عاطفية جداً ... جون ... وأي شخص يتزوجك سيلقى متاعب الآن...»

وأضاف بدعابة جافة:

«إلا إذا ضربك منذ البداية.»

وضحك من غضبها وغاظها أكثر عندما رأت حدة الأمر

«كان يجب أن أفعل هذا عندما اكتشفت هذا الجانب من طبيعتك»

وظلت صامتة ليس فقط لأنها لم ترغب في مناقشة موضوع يجرحها ولكن أيضاً لأنها لم تكن واثقة تماماً من أنه لا يفتقر إلى قوة الشخصية كما كان منذ أربع سنوات. قال ليس إن سكوت قد أحبها لدرجة أنه تركها تنفذ كل رغباتها، وكانت جين تميل جداً إلى قبول هذا.

وسار سكوت ويده لا تزال تحت مرفقها. كان الليل ساحراً. القمر الاستوائي عالياً متألقاً مثل الفضة اللامعة. والنجوم براقة تخترق سماء الكاريبي الزرقاء في منتصف الليل. والموسيقى والعطر تملأ الهواء الدافئ اللطيف.

وأصبح الجو مسيطراً فجأة. كان الرجل إلى جانبها يثبت شخصيته بدون جهد كبير أو حتى معرفة.. وشعرت جين كأنها ستقع في شبح سكوت مصنوع من كل شروط الطبيعة الساحرة ولكنه عالم مصنوع يدعوها إلى دخوله الرجل الذي بجانبها.

«أريد أن أعود»

قالت ذلك عندما قرر سكوت أن يتوقف تحت شجرة جوز الهند حيث تقابلا لأول مرة في باربادوس.

«خذني.. خذني»

وحل ثم ضحك وأبعد خصلة من الشعر في عينيها.

«الطلب متأخر.. أليس كذلك؟»

«لم أكن أنظر إلى أين كنا ذاهبين»

«لا يوجد أحد غيرنا.. لا يوجد إلا أنت وأنا والبحر والسماء. قد تكون جزيرة صحراوية»

وقبل أن تقوم بحركة تبتعد بها مقتحماً ما تخشى أمسكها بحرارة لدرجة أنها شعرت بفقدان حواسها. لم يحدث في الأيام السابقة أن أبدى مثل هذه الحرارة، كان لطيفاً، حتى أن يؤنبها عقلياً أو جسدياً. ولكنه ليس كذلك الآن. كانت ذراعاه

حول شديدين حولها وشفتاه تثيران بلا رحمة عواطفها في عزلة. وكان صوته غليظاً وأبعدها عنه، وقال:

«من حسن حظك أننا لسنا وحدنا على جزيرة صحراوية وإلا فاسفعت ملاك الحنا يا جين العزيزة»

١٠ - سمكة الحب

كانت مرهقة تماماً وأحست أنها بذلت أكثر من طاقتها واستطاعت جين أن تخلص نفسها من اليدين اللتين تمسكان بها. وفي ثانية واحدة أمسكها سكوت وقال:

«لا تجري. ستجدين عقاباً وأنت تجرين هكذا.»

«وكيف ستجرني أنت؟»

وارتجفت. عرفها عواطفها أكثر مما عرفها تأثير عواطفه عليها.

وأجاب بهدوء:

«سأتركك تفعلين.»

وتساءلت كيف استطاع أن يستعيد هدوءه بهذه السرعة؟ وأضاف:

«ستعودين وحدك ويتساءل الجميع في عجب ما الذي حدث لك.»

«هذا كريه. سأكون سعيدة جداً عندما أكون حرة وأعود إلى بلدي. وسوف أفعل قريباً.»

وسكتت بعد أن فات الوقت.. وأحست بغضبها وأنها وأوقفها في مكانها بلا حراك.

«ماذا قلت؟»

كانت العبارات ناعمة، ولكنها مثيرة. وشعرت جين بالخوف منه وهو في هذه

الحالة، كما خافت منه منذ دقائق قليلة على الأرض. ما أكثر ما عرفته عن سكوت منذ أن قدمت إلى باريانوس. سكوت السمكة الهلامية بدون عمود فقري كما سمته. كان يمكن أن تضحك من الذكرى لو أنها أقوى منه.

«لم أقل شيئاً.»

«ماذا قلت؟»

كانت على وشك البكاء وطرفت عيناها بسرعة بينما نظرت إلى وجهه الغامض الذي لا يمكن فهمه.

«ستعرف قريباً جداً...»

وبرقت عينا جين وأطلقت صيحة اعتراض صغيرة عندما هزها سكوت وقد فقد صبره. وقال وهو يضغط على أسنانه:

«والآن... هل لك أن تخبريني بما كنت على وشك أن تقوليه؟»

وأخبرته وهي مغلوبة على أمرها. ليس سوى بقية اعترافاً كاملاً بكل شيء...

«لقد وقع في حب جيرمين.. كما ترى...»

أضافت بصوت متقطع بسبب الدموع التي حبستها من ناحية، وبسبب رغبتها الجامحة من ناحية أخرى، بعد أن هزها سكوت بعنف. وسألها وقد حاد للحظة عن الموضوع الرئيسي:

«هل يريد أن يتزوجها؟»

«نعم أعتقد هذا...»

«نعم. فهمت.»

واستغرق في التفكير وتساءلت جين إذا كان يدرك أن سيطرته عليها على وشك أن تنهار. وأنه منذ تلك اللحظة فصاعداً لن يكون في وضع يمكنه من إصدار الأوامر لها. سوف يظل بالطبع مضيفها - طوال المدة التي تظل فيها في ضيعته - ولكنه لن يستطيع بالتأكيد معاملتها كما عاملها هذا المساء، ويلقنها

«هل فكر في الصعوبة التي سيجدها في مواجهة كل شخص؟»

«لا.. لا أعتقد أنه فكر في هذا.»

والواقع أنها هي نفسها لم تفكر كثيراً في هذه الناحية الآن. ليس مسألة مع أشخاص غلطات في الجزيرة. سوف يشعر بالحرج عندما يعترف لهم أن بين هي شقيقته وليست زوجته.

«أيعرف فعلاً أنني قد أفصلت؟»

وانتفض قلبها وقالت:

«إنه مستعد لهذا كما أعتقد. ولكننا بدأنا نفترض أن رحلته هي الطريقة التي تثار بها التثاني...»

وتوقفت، وشعرت بأنه قرأ عليها من اتساع عينيه عندما حل تعبير من التساؤل محل صفة الغموض السابقة في نظرته، وأضافت أخيراً بحرارة:

«لقد فعلتها ثانية.»

«يبدو واضحاً أنك فعلتها. يهمني جداً أن أعرف أكثر عن اشتراكك في التنافق واقنع بعض أن صديقك ديفيد شور وزوجته، وكذلك من أنني سأعلم من الحقيقة.»

واعترفت رغماً عنها أن هذا صحيح، وأضافت ثانية:

«لقد تحدثنا عن الوضع كله طبعاً في يوم من الأيام.»

وعندما بدا أنه على وشك أن يفقد أعصابه قررت الجهر بكل ما قبل.

«ولكني أعتبر سؤالك عندي كثيراً يجب علي التخلي عن أي شيء خطير مثل الخداع الذي مارسته أنت وأخوك.»

هكذا قال أخيراً في تجهم وأضاف:

«إن تقنيها تدهشني. إنني أفكر في قصتكم جميعاً.»

وجدت في الرجل وهي على وشك البكاء.

«لا... أرجوك... لا تفعل. لقد تعرفت ديفيد وزوجته بيتي منذ مدة طويلة ومعاً

ليس الرفقة. كانا يعتقدان أنه خاطب كارولين تقريباً وهي الفتاة التي ظل في صحبتها عدة شهور.»

وظل ساكوت صامتاً فترة بعد انتهاء كلامها. كان فمه مطبقاً وجبينه متجهماً، وشاص قلبها عندما تصورت أن ديفيد وسوزان سيفقدان وظيفتيهما بسبب ما فعلاه من أجل ليس.

وأخيراً تكلم ساكوت. لا أقول أنه سيفكر أكثر في الوضع كله. وربما يناقشه مع مدير أو مديرين آخرين للشركة. وصاحت قائلة:

«هل لا بد من ذلك؟ لن يجديا في أعمال مربحة على الإطلاق.»

«ربما الذي يجعلك تعتقدين أنني سأجد أعمالاً مربحة؟»

«لقد رأيت ما فعلاه. ديفيد وسوزان شور يجب أن تعترف أنك سررت جداً بالطريقة التي يديران بها الفندق.»

«إنني أدفع أجراً مقابل الكفاءة، ولذلك أدفعها. كلامك يعني أنه يجب علي أن أكون ممتناً لآل شور.»

وبسرعة هزت رأسها وقالت:

«لا... لم أقصد هذا بكلامي.»

وتوقفت وهزت كتفيها في يأس. وأخيراً أضافت بصعوبة:

«لست في حالة طيبة للتفهم.»

«أنت على صواب. إنني لست في حالة طيبة.»

ونظر إليها لحظة في صمت ثم قال:

«ربما هي غلطتك أنت.»

إنه قد أثار الشفقة بأنها ستتحرر من سيطرته.. ومن الغريب والأسباب غير مفهومة تماماً، لم يبعث هذا الوضع في نفسها الرضى الذي كانت تتوقعه. وقالت له في هدوء:

«فكرت في العودة إلى بلدي.»

وساد صمت شامل عميق لم يقطعه إلا صوت البحر اللطيف على الشاطئ الرملي.

وأخيراً قال بنبرة هادئة جداً:

«إذن لقد خدعتني».

«من يمضي وقتاً طويلاً حتى تجد شخصاً يأخذ مكاني».

وتمنت لو أنها لم تقل ما قالت. والواقع أن فكرة الرحيل وعدم رؤية «سكوت» ثانية خلقت صورة كئيبة أمامها.

«سوف تتركين أيضاً» قال، «الذي تقولين إنك مغرمة به...»

وركز عينيه عليها وأشاحت برأسها وقد مضت قائلة:

«إن الصداقة لم تتحول إلى أي شيء لايمكن تخطيه».

«إذن لقد كذبت عندما قلت لي إنك تهتمين به».

«قلت إني أستلطفه... لا لم أكذب».

هكذا أضافت بسرعة حتى شعرت أنها قد تكشف عن حبها «لسكوت» إلا إذا احترست. قال:

«إذن أنت مصممة على مغادرة باراديس».

وترددت، ولكن إدراكها السليم تدخل ليذكرها أن البقاء لابد أن يسفر عن الألم النفسي لها ولا شيء آخر. صحيح أنها قد تحدثت وتساءلت في وقت من الأوقات عما إذا كانت لديها فرصة مع «سكوت»، بل أن «ليس» بدا مقتنعاً أن لديها فرصة، ولكن إذا كان «سكوت» يريدها زوجة له فليس عليه إلا أن يقول هذا... كانت المسألة بسيطة جداً. إن كل ما يريده منها هو أن تكون «لها» أخرى... امرأة يحمل معها ثم يتخيلها جانباً عندما يظهر وجه جديد أكثر جاذبية يشد انتباهه.

وأخيراً:

«نعم إنني مصممة على مغادرة الجزيرة».

«حسناً».

قال هذا مشدداً وبريق خاطف جداً في عينيه:

«إذن ليس هناك مايقال أكثر من هذا... تعالي... دعينا نعود إن صديقك سيتساءل إلى أين ذهبت».

كان «ليس» متضايقاً ونظر إلى وجه أخته الحزين وقال:

«هل تشعرين حقاً أنه سيفصل «جيف» وسوزان؟»

وأجابت وهي تقطب جبينها:

«لا أستطيع التأكد من هذا. قلت لك كل ما قيل تقريباً. كان «سكوت» غاضباً بالتأكيد بخصوص كل الخداع خداعها وخداعه».

«لا أعرف لماذا كشفت عن كل شيء بتلك الطريقة. إن المسألة كلها تخصني أنا».

قالت «جين» مكررة ما أخبرته به بالفعل:

«لقد انكشفت الحقيقة بالصدفة».

كانت تجد صعوبة كبيرة جداً حتى تحتفظ بصبرها. فقد اتخذ «ليس» موقفاً غير منطقي بالنسبة لزلة لسانها. وأضاف:

«لا تتصوري مدى التوتر الذي سادني».

«حتى اقترح اختياره».

وتنهد وقطب جبينه. وأخيراً بدا يستريح:

«لابد أن أخبره قريباً بعد كشفك عن الشيء لايمكن تأجيله».

«هل كنت ستخبره إذا استطعت؟»

وهز كتفيه وقال إنه لايعرف حقاً. عندما كان يفكر في وضع «آل» «شيرز» كان يشعر في الواقع بأنه يتعين عليه استشارتها أولاً، ويعرف رأيها في الموضوع. وأضاف:

«عموماً كنت أعتزم اخبار «جيف» بالحقيقة سواء قررت تأجيل اخبار «سكوت» أم لا».

وبعد دقائق قليلة تركته «جين» وأوت إلى فراشها. لم يشر «ليس» إلى شكه

هو نفسه في أن سكوت مازال يهتم بها، لقد كان عندئذ مشغولاً بالأخبار السيئة التي سردتها له.

كانت ليلة قلقة أخرى بالنسبة لجين وكان هذا واضحاً بالطبع عندما وصلت إلى منزل دريسكول في الصباح التالي، بهالات قلقة تحت عينيها وشحوب في خديها. كان سكوت يبدو بارداً متزناً كالعادة، ونظر إليها متفحصاً قبل أن يقول:

«واضح أنك لم تنامي. أرجو ألا يؤثر هذا على تركيزك».

كان يبدو وكأنه بلا قلب، وطرفت بسرعة وقالت بصوت متوتر:

«سأقوم بعملي كالعادة».

«إن هذا يبعث ارتياحي... فهناك عمل كثير لابد من انجازه».

وجعلها تعمل أكثر من أي يوم مضى. ولكن بصرف النظر عن مظهره الخارجي الصارم، بدا وكأنه يحاول التغلب على بعض الحزن. وتذكرت الانطباع الذي ورد إلى ذهنها بأنه رجل وحيد رغم عمله ورغم النزوات التي كانت تشير إليها بسخرية. ترى ما الذي حدث؟ ألأنه هو انتهت علاقتهما بسكوت أو أنه هو الذي أنهى هذه العلاقة؟

كانت جين تفكر في هذه الأسئلة رغماً عنها عندما انطلق صوت سكوت الحاد ينبهها إلى أن المفروض أن تكتب رسالة وقال:

«انتبهي، إنك لم تكتبي تلك الجملة الأخيرة، الرأي ماكتبته هنا».

وانتفضت الغصة الجملة الصغيرة في حلقها وأطاعته، وبعد أن انتهت ساد الصمت لحظة رهيبة، وبادرته قائلة:

«آسفة.. إذا سمحت، أرجو أن تكرر...»

وسألها ثائراً:

«ماذا حدث؟ إن كل ما كتبته خطأ».

ونحنحت جين لتردد كلمة اعتذار أخرى ثم أطلقت ثانية

ويحب سكوت تماماً رغم ذلك العبوس، وبدأ يمليها ثانية. واستمرت جين عندما أنجزت الرسالة وكتبتها على آلة الكاتبة في غرفتها ونهضت لترفعها عندما نظرت من النافذة ورأت سكوت يسير في الحديقة، وبدا أنه يسير بلا هدف. ولم تعش رأسه وتركه ذراعيه يتأرجحان إلى جانبيه. وانقبض قلب جين ولكن في اللحظة التالية كانت تسأل نفسها لماذا تهتم برجل أنت معاملته لها أن تزورها بصفاء الجزيرة التي أصبحت مغرمة جداً بها سوف تشعر بالألم كثيراً. ولكنها كانت عشيقة سكوت وحده.. لا كان مكتشفاً ـ وكانت واثقة أنه كذلك ـ فلا بد أن كآبته لها صلة بذلك. لعله أصبح يشعر نحوها بشيء أعمق من مجرد الرغبة. رغم أن جين لاتستطيع إطلاقاً التصور أنه وقع في غرام الفتاة. فقد كانت مستمتعة بحب انتظار وفي جانب هذا لايمكن أن تكون عشيقة لسكوت أو لأي رجل آخر قد تكون له لتتزوجه.

ووقفت جين مترددة دقائق قليلة، ثم سارت إلى غرفة مكتب سكوت، ووضعت الرسالة على مكتبه وبينما كانت تستدير خارجة رن جرس التليفون، وعندما التقطت السماعة سمعت صوتاً نسائياً ناعماً يقول:

«ألو... هل هذه أنت ياسيدة كورتيس؟ هل سكوت موجود؟ أرجو أن تخبريه أنني أريد التحدث معه».

رن الصوت في أذني جين بعمل نبرة متوترة، واقترضت بسرعة أن مشادة حدثت بين الفتاة وبين سكوت. حالة عاشقين كما تصورت، وزمت شفتيها تعبيراً عن الاشمئزاز الذي استولى عليها حينما ترد وقالت جين وهي تشعر برغبة شريرة لتترك الفتاة حائرة:

«إنه ليس هنا في الوقت الحاضر».

«أوه.. ولكن لابد أن يكون موجوداً في أي مكان، وإلا لما كنت أنت هناك لتجيبي عنه أرجوك ياسيدة كورتيس».

كان أمراً ولو أنه مغلف بالرجاء، وزمت جين شفتيها وترددت، وأخيراً قالت

في استسلام:

«سأرى إذا كنت أستطيع إيجاده»

ووضعت السماعة ولم يكن سكوت في مكان مرئي عندما خرجت إلى الشرفة بل ذهب ناحية بركة صنعت في مجرى جدول، وسلكت الممر المحفوف بالأزهار المؤدي إليها. ووصلت إلى الجدول وتوقفت لحظة تراقب المياه الفائرة اللامعة وهي تمر بين نباتات السرخس الاستوائية تغطي منابعه. واستمرت تسير مارة ببرك وشلالات مائية صغيرة. أين يمكن أن يكون؟ لم تكن جين قد ذهبت إلى هذا الجزء من المنطقة من قبل، ووقفت ثانية ونظرت حولها. كانت الحدائق هنا تبدأ في الاندماج مع شلالات الأعراش الملتفة بالأشجار التي تشكل المحيط الخارجي الرائع للغابة، وبدت أخيراً وسمعت رداً. كان على مسافة بعيدة جداً، واتجهت ناحية مصنع السكر فقد جاء صوت سكوت من تلك الناحية، وأطلقت شهقة عندما دخلت مكاناً يمكن وصفه إلا بأنه منطقة خيالية من الألوان والروائح العطرة. كانت الصخور الزجاجية الضخمة تكون حديقة صخرية طبيعية تضم كل نوع من النباتات البديعة وساحت.

«أوه، ما أجمل هذا!»

ونهضت الفرخي من مرقدها فوقفت وأخفت عملها

«هل كنت تبحثين؟»

هكذا قال سكوت وهو يحادثها، ثم اقترب بدون أن تسمع له صوتاً وأومأت برأسها وهي لا تزال مذهولة قليلاً بالجمال الذي حولها وقالت له:

«مكالمة من الآنسة بونسول تنتظرك»

«صحيح؟»

وبدا عليه أنه لا يعير أيا أي اهتمام في الوقت الحاضر

«ألم تأتي إلى هنا من قبل؟»

هزت جين رأسها قائلة:

«لم أكن أعرف حتى أنها موجودة»

«ظننت أنك قمت بجولة في كل المنطقة»

«في الحدائق القريبة من المنزل فقط لا يمكن أن أسلك الطريق والمجيء إلى هنا إلا إذا دعوتني»

«ما الذي يجعلك تعتقدين أنك تتطفلين؟ أذكر أنني دعوتك للقيام بجولة، وأذكر أننا كنا نتكلم عن القرود عندئذ. هل رأيتها؟»

«لم أرها هنا، لقد رأيت واحداً أو اثنين فوق أجزاء أخرى من الجزيرة»

ونظرت إليه ولمحت الخطوط الرمادية الصغيرة على جانبي فمه. كان هناك شيء من التوتر في الجو جعلها تقول بسرعة:

«الآنسة بونسول... ألن ترد على التليفون؟»

وأومأ برأسه ولكنه كان ساهياً:

«نعم، أعرف ذلك. منذ متى اتصلت؟»

«لا بد أن مرت خمس دقائق أو حتى أكثر»

«لا بد أنها قطعت المكالمة إذن»

هكذا قال. وساد صمت عميق بينهما وهما واقفان هناك جنباً إلى جنب في الحديقة الصخرية الجميلة، ثم قالت جين:

«تركت الرسالة على مكتبك»

«أشكرك»

ونظر إلى وجهها بعد أن غرته قليلاً ليكون أمامها

«لا داعي للخوف»

قال هذا بحدة عندما رآها تنظر إلى الخلف بطريقة لا إرادية

«إنني أحتفظ بمراهقتي الناضجة غير النساء الشاعري»

حدقت واتسعت عيناها ولم يسعها إلا أن تقول:

«هذه ملاحظة غريبة جداً»

وبدا من مخضعها أن عرفت الزيارة من القاك بغضب مفاجيء وقال:

«لقد اتخذت قراراً»

كان لديه الانطباع الاكيد بأنه يفكر في هذا القرار منذ الليلة الماضية، وأنه خرج وأتى الى هنا هذا الصباح الى النقطة المحيطة بينه حين يكون وحده ويعيد التفكير فيه ثانية

«والتي أتمم لك القرار»

وتعابها ذعر وتقلص لسانه، وشعرت بالدم يصعد الى وجهها، وتساءلت عما سكوت. ولربما تمثل مسحة ساخرة تركتي اسمه.

«ليس هناك ما يدعو للعجل»

«هكذا أكون قد باشرت المهمة نفسها»

«بانه ليس ذلك النوع من الاقتدار»

ولم تستطع جين إلا الاستماع فقط وتلك خطة خالية من الكلام مهمورة بخفقان غضب في عينه.

«حسنا.. ما هو اذن؟»

«قررت التخلي عن المشاريع سواء كان هذا ما أنت وأنا تريد أو شاع فستفقد بشرط واحد»

«أي، ما هو؟»

لم تستطع إلا أن تقول هذه الكلمات، وظلت تحدق في ذلك الغضب وهي تتساءل.. ترى ما الذي سيعقب ذلك؟ فما هو سكوت في حالة تختلف تماماً عن أية حالة رأته فيها من قبل.

«والشرط هو أن تستمري في العمل عندي»

وبدأ مثل ومضة كهربائية تخترق سماء قاتمة. تحرك ادراكها وتجمعها عن التنفس والكلام، وأثر على كل عصب في جسمها الذي أنهكته المعركة، وأخذت تحرك رأسها من جانب الى آخر وتصور سكوت أنه نص من رفضها فقال

«غاضباً وقد توجهت هناك»

«في ذلك الغالب.. ستتخلون كلكم.. كلكم»

وأفاقت جين، وقد مست ابتسامة صغيرة غريبة شفتيها الرقيقتين المرتعشتين

«لا أستطيع أن أصدق هذا»

وخليتها مشاعرها فوضعت أطراف أصابعها فوق جبينها وأغمضت عينيها كيوتان وسألت إن أسأل حتى بحضنيها. وقالت وقد وددت أن تكون صلبة

«كنت واثقة أنك لن توافق عليها وستوزان.. في أية حال، إن هذا ليس من شأنك»

«بحق الجحيم ما الذي تتحدثين عنه؟»

واتكأ على مخضعيها بعنف وأبعد يديها عن وجهها

«ما الذي تحاولين قوله؟»

ثم أمرها قائلاً:

«قوليه، ولا تستمري هكذا في التشنج عن أي شيء»

«انك تؤلمني يا سكوت»

«قوليه.. سوف..»

ولم يطلق تهديده وأطلق يديها وعلق فمها وأشرقت ابتسامة بطيئة تالية عندما استطاع هو أيضاً أن يرى النور أخيراً.

«جين.. جين.. لا تقولي»

وربما كانه التحول. ولكن ذلك لم يمنعه من رؤية دمعة عين الراضخة عندما اقتربت شفتيها الناعمتين

«يا حبيبي.. يا غالي.. كيف حدث هذا؟»

«حدث هذا عندما وجهت تهديدك الأول. كنت تحاول أن تستغل الوضع لتحصل على مآربك، وهو أن تجعلني أبقى هنا.. وخيبة استمرت القليلة، وهي أن الحب هو الذي قادك الى هذا الطريق، وإلا لما تحرص الى هذا الحد على بقائي»

وأومأ رأسه، واعترف بأنه كشف عن مشاعره بذلك التهديد، وقال إنه لم يكن يعني هذا، وبخاصة بعد أن قالت له بكل جرأة إنها ستطلقه … شراكتنا. واستمر سكوت يقول بصراحة

«لقد شعرت بغيرة جنونية منه، وهذا هو السبب الذي جعلني أتردد بالاعتراف بطريقة مهذبة أكثر. لم أستطع احتمال فكرة أنك قد تشجعت على مطارحته الغرام».

«لم أكن لأسمح له بفعله إطلاقاً».

«أعتقد ربما شعر بأن له الحق في أن يفعله».

واعترفت قائلة:

«كانت كثيرة في أية حال. لم أكن أشعر بأي شيء نحوه. كيف استطعت رؤية أعمالي؟»

ثم أضافت:

«كنت تعاملني على ما فعلته من قبل: أنني كالآلة».

واعترف بأن هذه هي الحقيقة.

«إن كبريائي لم تتلق أبداً ضربة مثل تلك التي وجهتها لي عندما أعلنت أنني لا أتمتع بشخصية قوية. بل...»

وابتسمت قائلة:

«لا تبتئس لأنه لأني أفقدت صوابي لأقول شيئاً من هذا القبيل. إنني أعرف الآن أنك تركتني أفعل ما أريد لأنك كنت تحبني حباً كبيراً».

ورفعت عينيها إلى عينيه، ورأى أنهما لا تزالان متألقتين بسحابة من الدموع.

«لقد أدركت، بعد أن بدأت أعرفك ثانية، قيمة ما أفقدته بهجري، ولم أكن حتى أجرؤ على أن آمل في أن تتاح لي فرصة ثانية».

ولم يقل سكوت شيئاً، وبعد لحظة استطردت تقول:

«عرفت أنك كنت ترغب في عقابي، وتريد أن تثبت لي أن في استطاعتك أن تكون

مسيطراً متسلطاً، ولكن لم تكن بحاجة للذهاب إلى حد أن أعتقد أنك عازم».

ولم يرد على ذلك، وعندما رأيت تعبير وجهه تأكدت أنه عرف مثلاً تسع كبريات منذ أن رفضت الزواج به. لقد عرف كل شيء عن النساء في هذه السنوات الأربع، ومع ذلك لم تكن تجربته متعلقة … فقد شعرت بأن تغييراً واضحاً قد حدث بالفعل: لقد أرادته … من أعماقها، وأدركت في نفس الوقت أنه لا يهم إطلاقاً كم كان كل هذا في الماضي، ولكن المستقبل هو الذي يهم الآن، وكان لابد أن تسأل إذا كانت … لقد ذهبت إلى منزل … تلك الليلة، وشعرت بإحساس غامر من الارتياح عندما هز رأسه نافياً، وأضاف بشيء من القسوة:

«لم يكن في نيتي إطلاقاً تركها تتم هذا وحتى في … كنت أحاول فقط أن أثير غيرتك، وقد فشلت في هذا على نحو فظيع».

ولكن الآن كان دور … أن … رأسها وقالت:

«ألم أعترف أنني بدأت أدرك بسرعة قيمة ما فقدته؟»

«نعم ياحبيبتي، لقد نسيت».

وضمها بين ذراعيه بحنان ورقة كبيرة، كما كان يفعل في الأيام الأولى، وقال:

«لا أستطيع احتمالك ياحبيبتي، هل أفهم أنني أروق لك كما أنا؟»

نظرت إليه ثانية وقربت وجهها من وجهه وهمست:

«إنك تقوم بالمهمة بكل كفاءة».

ثم قالت بعد فترة طويلة أصبح تنفسها فيها أكثر ترويّاً:

«كنت قاسياً...»

«حتى أثبت لك فقط ياعزيزتي أنني لا أفتقر إلى القدرة على السيطرة إذا أردت».

وترققت واتسعت عيناه الزرقاوان.

«قلت إنني لا أستطيع إطلاقاً احتمالك، ولكن إذا بدأ يبدو تصميمي … أكثر مما يجب بالنسبة لتنفيذ كل رغباتك، عندئذ سوف تعرفين جيداً أن لك

«شيئاً.. تذكري، لقد عرفت كثيراً جداً من النساء خلال السنوات القليلة الماضية ومن الأشياء الهامة أن أعرف دائماً كيف أكبح جماحهن»

وعقبت جين بانزعاج:

«هل تعرف يا سكوت؟ رغم أنني كنت أقول لنفسي أنك تتصرف بالطريقة التي كنت تتصرف بها حتى تتعلم من ردفعلي عرضت بالزواج فقد بدا لي دائماً...»

وتوقفت لحظة وحاولت أن تجد طريقة لبقة لصياغة كلماتها

«بدا لي دائماً أن هذه الطريقة ليست من طبيعتك. وكأن مثل هذا السلوك لم يكن سلوكك على الإطلاق»

كان يومئ برأسه حتى قبل أن تنتهي من كلامها، وأضاف:

«حقيقة أنني كنت أذكرك دائماً بأن لي سيطرة عليك كان علي أن أجعلك تبقين هنا حتى أستطيع كسب حبك. شعرت أنني إذا سمحت لك بأن تحزمي ليس من معرفتي بالخدعة، فربما تدركين أنت يوم مغادرة الجزيرة. أما بالنسبة إلى موقفي فإنني حرصت على أن أذكرك دائماً أنني أقدرك...

عزيزتي»

قالت ذلك بشيء من الحدة وصححت سكوت قائلة:

«وهو كذلك يا حبيبي... وتتساءل حساً كان كل هذا جزءاً من محاولة الظهور بمظهر السيد المسيطر المتسلط. كنت فقط أريد أن أكسب حبك»

«حسناً، الطريقة الكلاسيكية»

وضحكت وبقيت تطل عرجاً من سكوت ويذكرها بأنها أوضحت له أن هذا شيء ضروري جداً في الرجل الذي ستتزوجه في النهاية. واستطاعت أن تقول:

«والحقيقة أنني لن أستطيع أن أفكر عن هذه اللحظة أستطيع أن...»

وقاطعها سكوت عندما تكلم ثانية وقال:

«قلت لي إن الرجل الذي ترضين به زوجاً يجب أن يستطيع إثبات وجوده ويجب أن يتسم بقدر معين من السيطرة. لا أستطيع أن أتذكر الباقي...»

واستمر يقول في سكوت بحركات الاعتراض الصغيرة من جين

«حسناً يا حبيبتي، كنت فقط أعطيك ما تريدينه. إلا لم تستجيبي؟ هكذا سألت نفسي»

وقالت بضعف:

«ماذكرت أنني في الرابع أريدك كما كنت من قبل»

«إن هذا هو سلوك حواء... من أين تأتي النساء بمثل هذه»

ولم تقل جين شيئاً، وأضاف:

«آسف يا عزيزتي جين، ولكن فات الوقت لأكون كما كنت أعرف...»

ولكنها أضافت بشيء من الدلال وهي ترفع رأسها وتنظر إليه

«مع ذلك سوف ينقصني عنصر من الإثارة فيما تقوله لي بعد ذلك»

«نعم.. إنني أعرف أنك ستكونين لطيفة دائماً معي...»

ولم تكمل كلامها. كانت ذراعاه حولها تسببان لها أنها بقدر ما تشعرها بسعادة. لقد كانتا مسيطرتين بقسوة بقدر ما كانت شفاهه تطويان بحنان.

«سكوت..»

تنهدت أخيراً عندما سمح لها بأن تتكلم:

«إنك تستحقني حتى الموت... قلت إنك تحتفظ بعاطفتك العاصفة لجو المسكن الشاعري...»

«فعلاً... إنها كذلك... اعذري»

ولكنه كان يضحك، وأطاح بها في الهواء، ثم رفعها إلى أعلى ونظر في عينيها بعاطفة حانية، وأعادها إلى حضنها وقال:

«هل تعرفين يا جين... حبيبتي الغالية هل هذه حقيقة أم أنه مجرد حلم؟»

ثم أضاف:

«عندما استيقظت هذا الصباح شعرت كأنه لايوجد أي شيء أعيش من أجله. فرغم أنني قررت تقريباً أن أهجرك إلا أنني كنت أعرف أنك اذا أصررت على رفض اقتراحي فانني لن أسبب أية معاناة للآخرين. والذي ضايقني هو أنك أنت نفسك ربما تتركين هنا. وفي هذه الحالة سيكون تهديدي بدون أية فاعلية. ولكن بالطبع لم تكن لدي أية فكرة أنك تحبينني.»

وهز رأسه وقالت جين:

«هل تعرف شيئاً ياحبيبي؛ كان كل منا أعمى.»

وأومأ برأسه ومضت تقول:

«من ناحيتي أعتقد أنني كنت غبية الى أقصى حد. لأن ليس هل يلمح أنك تهتم بي.»

«صحيح!»

كان سكوت يجذبها اليه ثانية، وكان من السهل معرفة أنه يهتم قليلاً أو لايهتم على الاطلاق بليس في هذه اللحظة.

«نعم. لقد أبدى اهتماماً أكثر مني بأشياء معينة مثل قلقك على عدم نومي... هل تذكر أنك عدت بي الى البيت؟»

وأومأ برأسه شارداً وهو يضغط بفمه على خدها...

«ثم كانت مناسبة أخرى عندما نفد البنزين من سيارتي وعدت بي الى البيت ثانية... ثم هناك المناسبة الأخرى عندما... حبيبي هل تستمع الي؟»

«نعم...»

وأطلقت جين ضحكة صغيرة سعيدة ووضعت رأسها على كتفه. وبعد قليل قطعت الصمت العميق وقالت:

«أحبك ياأغلى انسان...»

كانت الكلمات الهامسة أشبه بنسيم الصيف الساحر الناعم، قبل أن تجتاحها مرة أخرى دوامة عاطفته الملتهبة.